وكذا الزمانُ بما يَسُرُّكَ تارةً ... ويسوءُكَ تارةً يتنقَّلُ

محاسن الصحبة

قيل .. قال علقمة بن ليث لابنه ،، يا بُنيَّ ان نازعتك نفسك الى الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من إن صحبته زانك وان تخفّفت له صانك وان نزلت بك مؤونة مانك وان قلت صدَّق قولك وان صلت شدَّد صولك اصحب من اذا مددت اليه يدك لفضل مدَّها وان رأى منك حسنة عدَّها وان بدت منك ثلمة سدَّها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق ،، وقال آخر اصحب من خوّلك نفسه وملّكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه ،، وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذلَّ لقدرك عزه ،، وقال بعضهم لصاحبه انا أطوع لك من اليد واذل من النعل .. وقال بعضهم اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه ،، وقال ابن أبي دواد لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات .. ما خبرك مع صاحبك فقال .. لا يقصر فى الاحسان الى فقال .. يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

﴿ ضدّه ﴾

قيل ،، كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموماً في عمله فخبرني المدائني قال ،، وزن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق يضرب أهلها مائة .. قيل وخطب فى مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال ،، يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن تدخلوا مساجدكم المجانين اضربوا عنقه فضربت عنقه .. قال وقال لهمّام بن يحيى وكان عاملا له ،، يا فاسق خرّبت مهرجانقذق قال انى لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وعمرت البلاد فأعاد ذلك عليه مراراً

فقال همام قد أخبرتك اني كنت على ماه دينار وتقول خرّبت مهرجانقذق فلم يزل يعذبه حتى مات .. قال وقال لكاتبه وقد احتبس عن ديوانه يوما ،، ما حبسك قال اشتكيت ضرسي قال تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا الحجام وأمره أن يقلع ضرسين من أضراسه .. وعن المدائني قال ،، حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عبس قال كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حُدَيج فقرّب اليه واحدة فقال لها اني أريد الشخوص أفأخلفك أو أشخصك معي فقالت صحبة الأمير أحبّ إليّ ولكني أحسب ان مقامي وتخلفي اعفى وأخفّ على قلبه فقال أحببت التخلف للفجور يا حديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثانية وقد رأت ما لقيت صاحبتها فقال لها انى أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك فقالت ما أعدل بصحبة الأمير شيئاً بل تخرجني قال أحببت الجماع ما تريدين أن يفوتك ليلة يا حديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثالثة وقد رأت ما لقيت المتقدمتان فقال لها انى أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك قالت الامير أعلم لينظر أخفّ الأمرين عليه فليفعله قال اختاري لنفسك قالت ما عندى اختيار فليختر الامير قال قد فرغت من كل عمل فلم يبق لي الا أن اختار لك أوجعها يا حديج فضربها حتى أوجعها قال الرجل فكأنما أوجعني من شدة غيظي عليه فولّت الجارية فتبعها الخادم فلما بعدت قالت الخيرة والله فى فراقك ما تقرّ عين أحد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ما تقول يا حديج قال قالت كذا وكذا فقال يا ابن الخبيثة من أمرك أن تعلمني يا غلام خذ السوط من يده فاوجع رأسه فما زال يضربه حتى اشتفى فتعرّف من الغلام الآخر كم ضربت قال لا أدرى قال يا عدوّ الله اتخرج حاصلى من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه [1]

---

(١) ــ هكذا فى الأصل مسندة الى يوسف بن عمر .. ولعلها من أخبار الحجاج كما فى غير هذا الكتاب

محاسن التطير

عن عكرمة قال ،، كنّا جلوساً عنـد ابن العبّاس وابن عمر فطار غراب يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن العباس لا خير ولا شر ،، والذى حضرنا من الشعر فى مثله لأبي الشيص

مافرَّقَ الأَحْبابَ بَعـــــدَ اللهِ إلاَّ الإِبِلُ
والناسُ يلحوْنَ غُرَا ب البَيْنِ لمّا جَهلوا
وما عَلى ظَهْرِ غَرا بِالبَيْنِ تُطْوَى الرِّحَلُ
ولا إذا صاحَ غُرا بٌ فى الدِّيارِ ارْتَحلوا
وما غُرابُ البَيْنِ إ لاَّ ناقـةٌ أو جَمَلُ

وقال آخر

أَتَرْحَلُ عَمَّنْ أنتَ صَبٌّ بِمِثْلِهِ وتَلْحَى غُرابَ البَينِ إنَّكَ تَظْلِمُ
أَقِمْ فغُرابُ البَينِ غيرُ مُفَرِّقٍ ولا يَأْتَلِي إلاَّ على الفصلِ يَحْكُمُ

وقال آخر

غَلَطَ الذينَ رأَيتَهُمْ بجَهـالةٍ يَلْحَوْنَ كُلُّهُمُ غُرابًا يَنْعَقُ
ما الذَّنْبُ إلاَّ للجمالِ فإنَّها مِمَّا يُشَتِّتُ شَمْلَهُمْ ويُفَرِّقُ
إنَّ الغُرابَ بيُمْنِهِ يُدْنِي النَّوَى وتُشَتِّتُ الشَّمْلَ الجَمِيعَ الأَيْنَقُ

وقال آخر

لا يَعْلَمُ المَرْءُ لَيلاً ما يُصَبِّحُهُ إلاَّ كَوَاذِبُ مِمَّا يُخْبِرُ الفَالُ
والفالُ والزَّجْرُ والكُهَّانُ كُلُّهُمُ مُضَلَّلُونَ ودونَ الغَيْبِ أَقْفَالُ

﴿ ضدّه ﴾

حُكي عن النعمان بن المنذر ،، انه خرج متصيّدًا ومعه عديّ بن زيد العبّادي فمرّ بآرام — وهي القبور — فقال عدي ،، أبيت اللعن أتدرى ما تقول هذه الآرام قال لا قال انها ،، تقول

أَيُّها الرَّكْبُ المُخفُّو نَ على الأَرْضِ تَمرُّونَ
لكَمَا كُنْتُمْ فكُنَّا وكَما كُنَّا تكونونَ

فقال أعِد فأعادها فترك صيده ورجع كئيباً .. وخرج معه مرّة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عديّ ،، أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الآرام قال لا قال انها : تقول

رُبَّ رَكْبٍ قدْ أَناخوا عِنْدَنا يَشْرَبونَ الخَمْرَ بالماءِ الزُّلال
ثمَّ أَضْحَوْا عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ وكذَاكَ الدَّهْرُ حالاً بَعْدَ حال

فانصرف وترك صيده .. قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردّة انتهى الى حيّ من بني تغلب فاغار عليهم وقتلهم ،، وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يغنّى بهذا البيت

أَلاَ عَلِّلاَني قبلَ جيشِ أبي بكْرِ لعلَّ منَايانا قريبٌ وما نَدْرِي

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه فاذا رأسه في الجفنة التى كان يشرب منها .. وهذا كقولهم

إنَّ البَلاَءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

محاسن الوفاء

قيل فى المثل ،،أوفى من فُكيهة ،، وهي امرأة من بنى قيس بن ثعلبة كان من وفائها ان السُّليك بن سَلْكة غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة يلتمسها فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا : ان هذا الأثر لأثر قدم ورد الماء فقعدوا له فلما وافا حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فُكيهة فاستجار بها فادخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها فنادت إخوتها فجاؤا عشرة فمنعوهم منها ،، قال وكان سليك يقول ،، كأني أجد خشونة شعر آسنها على ظهرى حين أدخلتني تحت درعها ،، وقال

لَعَمْرُ أبيكَ والأَنْباءُ تَنْمي ... لَنِعْمَ الجارُ أُخْتُ بنى عُوَارا

من الخَفَرَاتِ لم تفضحْ أخاها ... ولم ترْفعْ لوالدِها شَنَارا

عَنَيْتُ بهِ فُكَيْهَةَ حينَ قامَتْ ... لِنَصْلِ السَّيْفِ فانتزعوا الخِمَارا

ويقال أيضاً ،، هو أوفى من أم جميل ،، وهي من رهط ابن ابي بردة من دوس وكان من وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ قتل رجلا من الأزد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرّار بن الخطاب الفهرىّ ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت ام جميل وعاذ بها فقامت في وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها فلما ولّي عمر بن الخطاب ظنت أنه اخوه فأتته بالمدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال : إني لست بأخيه إلا فى الاسلام وهو غازٍ وقد عرفنا منّتك عليه وأعطاها على انها ابنة سبيل ،، ويقال أوفى من السموءل بن عاديا ،، وكان من وفائه ان امرأ القيس بن حجر لما اراد الخروج الى قيصر استودع السموءل دروعا له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السموءل فأخذ الملك ابناً له خارج الحصن وصاح به يا سموءل هذا ابنك في يدى وقد علمت ان امرأ القيس ابن عمي وأنا أحق بميراثه فان دفعت إلي الدروع وإلا ذبحت ابنك فقال : اجّلنى فأجّله فجمع اهل بيته فشاورهم فكلهم اشاروا بدفع الدروع وان يستنقذ ابنه فلما اصبح اشرف عليه وقال ،، ليس لي الى دفع الدروع سبيل فاصنع

ما انت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهوديا وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرئ القيس .. وقال في ذلك

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إِنِّي ... إِذا ما خانَ أَقْوامٌ وَفَيْتُ

وقالوا عِنْدَهُ كَنْزٌ رَغِيبٌ ... فَلا وأَبِيكَ أَغْدُرُ ما مَشَيْتُ

بَنى لِي عادِيا حِصْناً حَصِيناً ... وبِئْراً كُلَّما شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

وفي ذلك يقول الأعشى

كُنْ كالسَّمَوْءَلِ إِذْ طافَ الهُمامُ بِهِ ... في جَحْفَلٍ كَسَوادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

بِالأَبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْماءَ مَنْزِلُهُ ... حِصْنٌ حَصِينٌ وجارٌ غيرُ غَدَّارِ

خَيَّرَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقالَ لَهُ ... مَهْما تَقُولَنْ فإِنِّي سامِعٌ حارِ

فقالَ كُلٌّ وغَدْرٌ أنتَ بَيْنَهُما ... فاخْتَرْ فما فيهِما حَظٌّ لِمُخْتارِ

فشَكَّ غيرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قالَ لَهُ ... أُقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مانِعٌ جارِي

ويقال .. أوفى من الحارث بن عبّاد .. وكان من وفائه انه أسر عديّ بن ربيعة ولم يعرفه فقال له : دلّني على عديّ بن ربيعة ولك الأمان فقال : أنا آمن ان دللتك عليه : قال : نعم . قال : فأنا عديّ بن ربيعة فخلاّه .. وفى ذلك يقول الشاعر

لَهْفَ نَفْسِي على عَدِيٍّ وقَدْ شا ... رَفَهُ المَوْتُ واحْتَوَتْهُ المَنُونُ

ويقال .. هو أوفى من عوف بن مُحَلِّم .. وكان من وفائه ان مروان القرظ غزا بكر بن وائل ففضّوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فقالت : انك تختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ فقال : مروان وما ترجين من مروان قالت : عظم فدائه قال : وكم ترجين من فدائه قالت : مائة بعير قال : لك ذلك على أن تردّيني الي خماعة بنت عوف بن محلّم قالت : ومن لي بالمائة فأخذ عوداً من الأرض وقال : هذا لك فمضت به الى بيت عوف فاستجار بخماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم

ان عمرو بن هند بعث الي عوف أن يأتيه بمروان وكان واجداً عليه في شيء فقال عوف لرسوله : ان خماعة ابنتي قد أجارته ، فقال ،، ان الملك قد آلى أن يعفو عنه أو يضع كفه في كفه ، فقال عوف ،، يفعل ذلك على أن تكون كفي بين أيديهما ، فأجابه عمرو الي ذلك ، فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده في يده ووضع يده بين أيديهما فعفى عنه ،، ومنهم الطائي صاحب النعمان بن المنذر ،، وكان من وفائه ان النعمان ركب في يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم لم يلقه أحد في يوم بؤسه إلا قتله ولا في يوم نعيمه إلا أحياه وحباه وأعطاه فاستقبله في يوم بؤسه اعرابي من طيء فقال ،، حيّاك الله الملك ان لي صبية صغاراً لم أوص بهم أحداً فان رأى الملك أن يأذن لي في اتيانهم وأعطيه عهد الله أن أرجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدي في يده ، فرقّ له النعمان وقال له ،، لا إلا أن يضمنك رجل ممّن معنا فان لم تأت قتلناه ، وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائي : وقال

يا شَرِيكَ بنَ عَمْرِو ... هلْ منَ الموْتِ مَحالَهْ

يا أخا كُلِّ مُضافٍ ... يا أخا مَنْ لا أخا لَه

يا أخا النُّعْمانِ فُكَّ الْـ ... ـيوْمَ عَنْ شيْخٍ غِلالَه

ابنُ شَيْبانَ قَبِيلٌ ... أَصْلَحَ اللهُ فَعالَه

فقال شريك : هو عليّ أصلح الله الملك ، فمضى الطائي وأجل له أجلا يأتي فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له : ان صدر هذا اليوم قد ولّى وشريك يقول : ليس لك عليّ سبيل حتى نمسي ، فلما أمسوا أقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك فقال شريك : ليس لك عليّ سبيل حتى يدنو الشخص فاذا هو صاحبي ، فبينما هما كذلك اذ أقبل الطائي فقال النعمان : والله ما رأيت أكرم منكما وما أدري أيّكما أكرم أهذا الذي ضمنك وهو الموت أم أنت وقد رجعت الى القتل والله لا أكون لأحد الثلاثة فأطلقه وأمر برفع يوم بؤسه ،، وأنشد الطائي

ولقدْ دَعَتْنى للخِلافِ عَشيرَتى فأَبيتُ عندَ تجَهُّمِ الأَقوالِ

إنى امْرؤٌ مِنّي الوَفاءُ خَليقةٌ وفِعالُ كلِّ مُهَذَّبٍ بَذّالِ

فقال النعمان : ما حملك على الوفاء قال : ديني قال : وما دينك قال : النصرانية قال اعرضها عليّ فعرضها عليه فتنصر النعمان

﴿ ضدّه ﴾

قيل .. كتب صاحب بريد همذان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه ان كاتب صاحب البريد المعزول أخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتى ألف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما ، فوقّع المأمون : إنّا نرى قبول السعاية شراً من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبله وأجازه فأنف الساعى عند ذلك وقال : يا أمير المؤمنين رضي الله عنك المعذرة فان الساعى وان كان فى سعايته صادقاً لقد كان فى صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يف لصاحبه .. قال : ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين عندى نصيحة قال : وما نصيحتك هذه ، قال : فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالا كثيرة جليلة فمر باستخراجها منه . قال : أنت شر منه وأخون حيث اطلعت على امره وأظهرته ولولا اني أنفّرُ النصاح لعاقبتك ولكن اختر منى خصلة من ثلاث، قال : اعرضهن يا أمير المؤمنين، قال: ان شئت فتشّنا عما ذكرت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذباً عاقبناك وان استقلت أقلناك . فاستقاله الرجل

محاسن السخاء

روي عن نافع قال .. لقي يحيي بن زكرياء عليه السلام ابليس لعنه الله فقال :

أخبرني بأحب الناس اليك وأبغضهم اليك • قال ،، أحبهم إليّ كل مؤمن بخيل وأبغضهم إليّ كل منافق سخيّ • قال : ولم ذاك • قال : لأن السخاء خلق الله الأعظم فأخشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له •• وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : السخيّ قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله عز وجلّ من عابد بخيل وأدواً الداء البخل •• وقال صلى الله عليه وسلم : ما أشرقت شمس إلا ومعها ملكان يناديان يُسمعان الخلائق غير الجن والانس وهما الثقلان اللهم عجل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً وملكان يناديان أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى •• وعن الشعبيّ قال ،، قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد بن عبد الملك ،، لو كان البخل قميصاً ما لبسته أو طريقاً ما سلكتها وكانت تعتق في كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول ، البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة •• وقيل : اعتقت هند بنت عبد المطلب في يوم واحد أربعين رقبة •• وقال بعض الحكماء : ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة •• وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : يا عليّ كن شجاعا فان الله يحب الشجاع وكن سخياً فان الله يحب السخيّ وكن غيوراً فان الله يحب الغيور ياعليّ وان انسان سألك حاجة ليس لها بأهل فكن أنت أهلاها ،، وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بغصن مدّ به الى الجنة ،، وقال عبد العزيز بن مروان : لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم الا سوء ظنهم بالله عز وجلّ لكان عظيما ،، وقال صلى الله عليه وسلم : تجافوا عن ذنب السخيّ فان الله آخذ بيده كلما عثر ،، وقال بهرام جور : من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر الى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله في الجنان فانه لو لا رضاه الجود لم يصطفه لنفسه ،، وقال الموبذان لأبرويز : أكنتم تمنون أنتم وآباؤكم بالمعروف وتترصدون عليه المكافاة ، قال : لا ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك وفي كتاب ديننا من فعل

معروفاً خفياً وأظهره ليتطوّل به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا نعده من الابرار ولا نذكره فى الأتقياء والصالحين .. قيل : وسئل الاسكندر ما أكبر ما شيدت به ملكك ، قال : ابتدارى الي اصطناع الرجال والاحسان اليهم .. قال : وكتب ارسطاطاليس فى رسالته الي الاسكندر : واعلم ان الايام تأتي على كل شيء فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال إلا ما رسخ في قلوب الناس فاودع قلوبهم محبة أبدة تبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك .. قال : ولما قُدّم بزرجمهر الي القتل قيل له: انك في آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من اوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به . فقال : أي شيء أقول الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل .. قيل : وتنازع رجلان احدهما من أبناء العجم والآخر اعرابى فى الضيافة فقال الاعرابى : نحن أقرى للضيف . قال : وكيف ذلك . قال : لأن أحدنا ربما لا يملك إلا بعيراً فاذا حلّ به ضيف نحره له . فقال له الاعجمى : فنحن احسن مذهباً فى القرى منكم ، قال : وما ذاك . قال : نحن نسمى الضيف مهمان ومعناه انه اكبر من في المنزل واملكنا به .. وقال بعض الحكماء : بلغ الجود من قام بالمجهود .. وقيل : الجواد من لم يضن بالموجود .. وقال المأمون : الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود .. قيل : وشكا رجل الي إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل الناس وينفق . قال : ان النفقة داعية الرزق وكان جالساً على باب فقال للرجل اغلق هذا الباب فأغلقه فقال : هل تدخل فيه الريح قال : لا . قال : فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخترق فى البيت فقال : هكذا الرزق اغلقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا امسكت لم يأتك الرزق .. قيل : ووصل المأمون محمد بن عبّاد المهلّبي بمائة الف دينار ففرّقها على اخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال : يا أبا عبد الله ان بيوت الأموال لا تقوم بهذا . فقال : يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود .. وعن أمية بن يزيد الأموي قال : كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال له قولا ضعيفاً فيه وعد وقلّة اطماع . فلما قام من عنده ومضي دعا صاحب خزانته فقال : اعطه اربعمائة دينار . فاستكثرناها وقلنا : كنت

رددت عليه رداً ظننا أنك تعطيه شيئاً قليلا فاذاً أنت أعطيته أكثر مما أمل . فقال : انى أحب أن يكون فعلي أحسن من قولي ،، وبحاتم يضرب المثل فى السخاء . فحدّثنا عن بعض حالات حاتم قيل : كان حاتم جواداً شاعراً وكان حيثما نزل عُرف منزله وكان ظَفِراً إذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق ، وكان أقسم أن لا يقتل واحد أمه ،، قيل : ولما بلغ حاتماً قول المتلمّس الضبعيّ

قَلِيلُ المالِ تُصْلِحُهُ فيبْقَى ... ولا يَبْقَى الكَثِيرُ على الفَسادِ

وحِفْظُ المالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغاهُ ... وضَرْبٍ في البِلادِ بغيرِ زادِ

فقال : ما له قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجُودُ يُفْنِي المالَ قبْلَ فَنائِهِ ... ولا البُخْلُ فى مالِ الشَّحِيحِ يَزِيدُ

فلا تَلْتَمِسْ رِزقاً بعَيْشٍ مُقَتَّرٍ ... لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جَدِيدُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرِّزْقَ غادٍ ورائِحٌ ... وأَنَّ الذِى أَعْطاكَ سَوْفَ يُعِيدُ

قيل .. ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشّاه وغدّاه وقال : انك قد أفرضتنى ناقتك فاحتكم عليّ . قال : راحلتين . قال : لك عشرون أرضيت ؟ قال : نعم وفوق الرضى . قال : لك اربعون . ثم قال لمن يحضرته من قومه : من اتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة . فأتوه بأربعين فدفعها الى الضيف .. وحكوا عن حاتم انه خرج فى الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير فيهم : يا ابا سفانة قد اكلني الاسار والقمل . قال : والله ما انا فى بلادي ولا معي شئ وقد اسأت إلي ان نوّهت باسمي فذهب الى العنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم وقال : خلّوا عنه وانا اقيم مكانه في قيده حتى اؤدّي فداه ، ففعلوا فأتاهم بفداء .. قيل : ولما مات حاتم خرج رجل من بنى اسد يعرف بابى الخيبرى في نفر من قومه وذلك قبل ان يعلم كثير من العرب بموته فأناخوا بتبره فقال : والله لأحلفنّ للعرب اني نزلت بحاتم

وسألته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله ويقول

عَجِّلْ أَبا سَفَّانَةَ قِرَاكَا فسَوْفَ أُنْبِي سائِلِي نِثَاكَا

فقال بعضهم : مالك تنادى رمّة وباتوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه مذعوراً فقال : يا قوم عليكم مطايا كم فان حاتماً اتاني فانشدني

أَبا الخَيْبَرِيِّ وأَنتَ امْرُؤٌ ظلومُ العَشيرَةِ شَتَّامُها
فما ذا أَرَدْتَ إلي رِمَّةٍ بدَوِّيَّةٍ صَخِبَتْ هامُها
تُبْغِي أَذاها وإعْسارَها وحَوْلَكَ طيٌّ وأَنْعامُها
وإنَّا لَنُنْعِمُ أَضيافَنا مِنَ الكُومِ بالسَّيفِ نِعْتامُها

وقيل فى المثل : هو اجود من كعب بن مامة وكان من اياد وبلغ من جوده انه خرج فى ركب فيهم رجل من بنى النمر بن قاسط في شهر ناجر والجأهم العطش فضلوا فتصافنوا ماءهم فجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا اراد كعب ان يشرب نصيبه قال : آثر اخاك النمرى فيؤثره حتى اضرّ به العطش فلما راى ذلك استحث ناقته وبادر حتى رفعت له اعلام الماء وقيل له رد كعب فانك ورّاد فمات قبل ان يرد ونجا رفيقه .. ومن قول ابى تمام

هوَ البَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّواحي أَتَيْتَهُ فلُجَّتُهُ المَعْرُوفُ والجُودُ ساحِلُه
كَرِيمٌ إذا ما جِئْتَ للعُرْفِ طالِباً حَبَاكَ بما تَحْوِي عليهِ أَنامِلُه
فلَوْ لَمْ يَكُنْ في كَفِّهِ غيرُ نَفْسِهِ لَجادَ بها فلْيَتَّقِ اللهَ سائِلُه

وللبحترى

لَوْ أَنَّ كَفَّكَ لَمْ تَجُدْ لِمُؤَمِّلٍ لَكَفَاهُ عاجِلُ وَجْهِكَ المُتَهَلِّلِ
ولَوْ أَنَّ مَجْدَكَ لَمْ يَكُنْ مُتَقادِماً أَغْنَاكَ آخِرُ سُؤْدَدٍ عَنْ أَوَّلِ

ولبكر بن النطاح في أبي دلف

بَطَلٌ بصدْرِ حُسامِهِ وسِنانِهِ ... أَجلَانِ مِنْ صدَرٍ ومنْ إيرادِ

وَرِثَ المَكارِمَ وابْتَناها قاسِمٌ ... بصفائحٍ وأَسِنَّةٍ وجيادِ

يا عِصْمَةَ العَرَبِ التي لوْلمْ تكُنْ ... حيًّا إذًا كانتْ بغيرِ عِمادِ

إنَّ العُيونَ إذا رأَتكَ حِدادُها ... رَجعَتْ مِنَ الإِجلالِ غيرَ حِدادِ

وإذا رَميتَ الثَّغْرَ منكَ بعَزْمةٍ ... فَتَحَتْ منهُ مواضعَ الأَسْدادِ

وكأَنَّ رُمْحَكَ مُنْقَعٌ في عُصْفُرٍ ... وكأَنَّ سَيفَكَ سُلَّ مِنْ فِرْصادِ

لوْصالَ مِنْ عَضَبٍ أَبودُلَفٍ على ... بيضِ السُّيُوفِ لذُبْنَ في الأَغْمادِ

أَوْرَى ونَوَّرَ للعَداوَةِ والهَوَى ... نارَيْنِ نارَ دَمٍ ونارَ زِنادِ

قال أبو هفّان : أنشدت هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي دلف بُسرّ من رأى فقال : هل سمعت بمثل هذه الأبيات • قلت : لا • قال : ولغيره في أبي دلف

ولوْ يَجُوزُ لَقالَ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... لوْلا أبو دَلَفٍ ما أَوْرَقَ الشَّجَرُ

قال ابن يحيى النديم : دعاني المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال : أنشدني قول عمارة في اهل بغداد • فانشدته

مَنْ يَشْتَرِي مِنّي مُلوكَ مُخَرِّمٍ ... أَبِعْ حَسَنًا وابْنَي هِشامٍ بِدِرْهَمِ

وأُعطَى رَجاءً بَعدَ ذاكَ زِيادَةً ... وأَمْنَحُ دِينارًا بغيرِ تَنَدُّمِ

فإِنْ طَلَبوا مني الزِّيادَةَ زِدْتُهُمْ ... أَبا دُلَفٍ والمُسْتَطِيلَ بنَ أَكْثَمِ

فقال المتوكل : ويلي على ابن البوّال على عقبيه يهجو شقيق دولة العباس قال : فهل عندك من المدح في أبي دلف القاسم بن عيسى شيء • قلت : نعم يا أمير المؤمنين قول الاعرابي الذي يقول فيه

أبا دُلَفٍ إنَّ السَّماحةَ لم تَزَلْ ... مُغَلَّلَةً تَشكو إلى اللهِ غُلَّها
فبَشَّرَها ربِّي بميلادِ قاسِمٍ ... فأرسَلَ جبريلاً إليها فحلَّها

وقال غيره

حُرٌّ إذا جِئْتَهُ يوماً لتسأَلَهُ ... أعطاكَ ما ملكتْ كفَّاهُ واعتذرا
يُخفِي صنائعَهُ واللهُ يُظهِرُها ... إنَّ الجميلَ إذا أخفيتَهُ ظهرا

وقال آخر

فتىً عاهدَ الرَّحمٰنَ في بذلِ مالِهِ ... فليسَ تَرَاهُ الدَّهرَ إلاَّ على العهدِ
فتىً قَصُرَتْ آمالُهُ عن فعالِهِ ... وليس على الحُرِّ الكريمِ سوى الجهدِ

وقال آخر

إذا ما أَتاهُ السَّائلونَ تَوَقَّدَتْ ... عليهِ مَصابيحُ الطَّلاقةِ والبِشْرِ
لهُ في ذُرى المعروفِ نُعمى كأنَّها ... مَواقِعُ ماءِ المُزْنِ في البلدِ القَفْرِ

وقال آخر

عادَ السُّرورُ إليكَ في الأَعيادِ ... وسَعِدْتَ مِنْ دُنْياكَ بالإسْعادِ
رِفقاً بعبدٍ جلَّ ما أَوْلَيْتَهُ ... رِفقاً فقدْ أَثقلْتَهُ بأَيادِي
مَلأَ النُّفوسَ مَهابةً ومَحبَّةً ... بَدْرٌ بدَا متغمِّراً بسَوادِ
ما إنْ أَرَى لكَ مُشْبِهاً فيمَنْ أَرَى ... إنَّ الكِرامَ قليلةُ الأَنْدادِ

وقال في ابن أبي دواد

بدَا حينَ أَثْرَى بإخوانِهِ ... فقلَّلَ عنهُمْ شَباةَ العَدَمْ
وحذَّرَهُ الحَزْمُ صَرْفَ الزَّمانِ ... فبادَرَ قبلَ انتقالِ النِّعَمْ

فليسَ وإنْ بَخِلَ الباخلو نَ يقرُعُ سِنّاً لهُ من نَدَم
ولا ينكتُ الأرضَ عندَ السؤالِ ليمنعَ سؤالهُ عن نَعَمْ
ولكنْ يُرَى مُشرِقاً وجهُهُ ليُرغِمَ في مالهِ من رُغِمْ

ويروى فى الحديث : انه لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد صالح أبداً .. ويقولون : الشحيح أغدر من الظالم أقسم الله بعزته لا يساكنه بخيل فى جنته .. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لايدرى متى يغلق عنه .. وقال الشاعر فى ذلك

ليسَ في كُلِّ ساعةٍ وأوانِ تتهيَّا صَنائعُ الإحسانِ
فإذا أمكنَتْ تقدَّمْتُ فيها حَذَراً من تعذُّرِ الإمكانِ

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه : ان أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بعثه الى حَكيم بن حِزام بن خويلد يسأله مالا فانطلق به الى منزله فوجد فى الطريق صوفاً فأخذه ومرّ بقطعة كساء فأخذها فلما صار الى المنزل أعطاه طرف الصوف فجعل يفتله حتى صيّره خيطاً ثم دعا بغرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخيّطها بالخيط وصرّ فيها ثلاثين ألف درهم فحملت معه .. قال : وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رحمه الله يسألونه فى حمالة فصادفوه فى حائط له يتتبع ما يسقط من الثمر فيعزل جيّده ورديئه على حدة فهموا بأن يرجعوا عنه وقالوا : ما نظن عنده خيراً ثم كلموه فأعطاهم فقال رجل من القوم : لقد رأيناك تصنع شيئاً لا يشبه فعالك فقال وما ذاك فأخبروه فقال : ان الذى رأيتم يؤول الى اجتماع ما ينفع وينمو .. ومنها قيل : الذود الي الذود إبل .. وأنشد

رُبَّ كبيرٍ هاجَهُ صَغيرُ وفي البُحورِ تُغرَقُ البُحورِ

وقال آخر

قد يَلحَقُ الصَّغيرُ بالجَليلِ وإنَّما القَرمُ من الأَفيلِ

وسحق النخل من الفسيل

قال : وأتى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حمالة فرآه يهنأ بعيراً له فقال : يا غلام اخرج اليه بدرة فقبضها وقال : أردت أن أنصرف حين رأيتك تهنأ البعير فقال : إنا لا نضيع الصغير ولا يتعاظمنا الكبير

مساوى البخل

المثل السائر فى البخل : هو أبخل من مادر . وهو رجل من بنى هلال بن عامر بلغ من بخله انه كان يسقى ابله فبقى في أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمي مادراً .. وذكروا ان بنى هلال وبني فزارة تنافروا الى أنس بن مدرك وتراضوا به . فقالت بنو هلال : يا بنى فزارة اكلتم اير الحمار فقالت بنو فزارة : لم نعرفه . وكان سبب ذلك ان ثلاثة اصطحبوا فزاريّ وثعلبيّ وكلابي فصادفوا حمار وحش ومضى الفزاري فى بعض حوائجه فطبخا وأكلا وخبآ للفزارى إير الحمار فلما رجع قالا : قد خبأنا لك حتك فكل . فأقبل يأكل ولا يسيغه . فجعلا يضحكان فغطن وأخذ السيف وقام اليهما وقال : لتأكلن منه أولأقتلنكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناوله الآخر فاكل منه .. فقال فيهم الشاعر

نشدتك يا فزارَ وأنتَ شيخٌ ... إذا خيّرتَ تُخْطئُ فى الخيارِ

أصيحانيّةٌ أُدِمتْ بسمنٍ ... أحبُّ إليكَ أمْ إيرُ الحمارِ

بلى إيرُ الحمارِ وخصيتاهُ ... أحبُّ إلى فزارةَ منْ فزاري

فقالت بنو فزارة : منكم يا بني هلال من سقى ابله فلما رويت سلح في الحوض ومدره بخلا فنفّرهم أنس بن مدرك على الهلاليين فاخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها .. وفي بني هلال يقول الشاعر

لقد جلّلت خزياً هلالُ بنُ عامرٍ بني عامرٍ طرّاً بسلحة مادرِ

فأفٍّ لكم لا تذكروا الفخر بعدها بني عامرٍ أنتم شرار العشائرِ

وفي المثل ،، هو أبخل من أبي حُباحب ، وهو رجل في الجاهلية بلغ من بخله انه كان يسرج السراج فاذا أراد أحد أن يأخذ منه أطفأه ، فضرب به المثل ،، ومنهم صاحب نجيح بن سلكة اليربوعي فانه ذكر : أن نجيحاً اليربوعي خرج يوماً يتصيّد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتى دفع الى أكمة فاذا هو برجل أعمى أسود قاعد في أطمار بين يديه ذهب وفضة ودرّ وياقوت فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع أن يحرك يده حتى ألقاه فقال : يا هذا ما هذا الذي بين يديك وكيف يستطاع أخذه وهل هو لك أم لغيرك فاني أعجب مما أرى اجواد انت فتجود لنا ام بخيل فاعذرك ، فقال الأعمى : اطلب رجلا فقدته منذ سنين وهو سعد بن خشرم بن شماس فأتني به تعطك ما تشاء ، فانطلق نجيح مسرعا قد استُطيرَ فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل خباءه ووضع رأسه فنام لما به من الغم لا يدري مَن سعد بن خشرم فأتاه آت في منامه فقال له : يا نجيح ان سعد بن خشرم في حي بني محلّم من ولد ذهل بن شيبان ، فسأل عن بني محلّم ثم سأل عن خشرم بن شماس فاذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحيّاه نجيح فردّ عليه السلام ، فقال له نجيح من انت ، قال : انا خشرم بن شماس ، قال له : فاين ولدك سعد ، قال : خرج في طلب نجيح اليربوعي وذلك ان آتياً أتاه في منامه فحدثه ان مالا له في نواحي بني يربوع لا يعلم به الا نجيح اليربوعي ، فضرب نجيح فرسه ومضى وهو يقول

أيطلبني من قد عناني طلابُهُ فيا ليتني ألقاك سعدَ بن خشرم

أتيتَ بني يربوعَ تبغي لقاءنا وجئتُ لكي ألقاك حيّ محلّم

فلما دنا من محلته استقبله سعد ، فقال له نجيح : ايها الراكب هل لقيت سعداً في بني يربوع قال : انا سعد فهل تدل على نجيح ، قال : انا نجيح وحدثه بالحديث ، فقال : الدال على الخير كفاعله ـ وهو اول من قالها ـ فانطلقا حتى اتيا ذلك المكان فتوارى

الرجل الأعمى عنهما وترك المال فاخذه سعد كله . فقال نجيح : ياسعد قاسمني . فقال له : اطوعني وعن مالي كشحاً ، وأبى أن يعطيه شيئاً فانتضى نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلا تحوّل الرجل الحافظ للمال سعلاة فاسرع في أكل سعد وعاد المال الى مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولّى هارباً الى قومه .. قيل : وكان ابو عبس بخيلا وكان اذا وقع الدرهم في يده نقره باصبعه ثم يقول : كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها فالآن استقرّ بك القرار واطمأنّت بك الدار ثم يرمي به في صندوقه فيكون آخر العهد به .. قيل : ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال في شق : لا إله إلا الله ، وفي شق : محمد رسول الله ماينبغي أن تكون إلا معاذة وقذفه في صندوقه .. وذكروا انه كان بالري عامل على الخراج يقال له المسيّب فاتاه شاعر يمتدحه فلم يعطه شيئاً ثم سعل سعلة فضرط .. فقال الشاعر

أتيتُ المُسيَّبَ في حاجةٍ ... فما زالَ يسعلُ حتى ضَرطْ

فقال غلطنا حسابَ الخَراج ... فقلتُ من الضَّرْطِ جاء الغلطْ

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل .. قال : وكتب ارسطاطاليس الى رجل بشيء فلم يفعل فكتب اليه : ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر .. قال : وسمع ابو الاسود الدؤلي رجلا يقول من يعشّي الجائع ، فعشّاه ثم قام الرجل ليخرج فقال : هيهات تخرج فتؤذي الناس كما آذيتني ، ووضع رجله في الأدهم حتى أصبح .. قال : وكان رجل يأتي ابن المقفّع فيلح عليه وسأله أن يتغدّى عنده ويقول : لعلّك تظن انى أتكلف لك شيئاً والله لاقدّم لك إلا ما عندي فلما أتاه لم يجد في بيته إلّا كسراً يابسة وملح جريش . وجاء سائل الي الباب فقال له : وسّع الله عليك ، فلم يذهب فقال : والله لئن خرجت اليك لأدقّن رأسك . فقال ابن المقفّع للسائل : ويحك لو عرفت من صدق وعده ماأعرف من صدق وعده لم تزد كلمة ولم تقم طرفة عين .. قال : وكتب ابراهيم بن سيّابة الي صديق له كثير المال يستسلفه . فكتب اليه : العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب عليه

فكتب اليه : ان كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وان كنت صادقاً فجعلك الله معذوراً .. وكتب آخر الى آخر يصف رجلا : أما بعد فانك كتبت تسأل عن فلان كأنك هممت به أو حدّثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل فان حسن الظن به لا يقع فى الوهم الا بخذلان الله والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا بسوء التوكل على الله والرجاء فيما فى يده لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى الايثار الذي يُرضى به التبذير الذى يعاقب عليه والاقتصاد الذى أمر به الاسراف الذي يعاقب عليه وان بني اسرائيل لم يستبدلوا العدس والبصل بالمنّ والسلوى إلّا لفضل أخلاقهم وقديم علمهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهبة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسّع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين وان مواساة الرجال من الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبائر وأيم الله انه يقول ان الله لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضلّ ضلالاً بعيداً كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وان الرجفة لم تأخذ أهل مدين إلّا لسخاء كان فيهم ولا أهلكت الريح عاداً إلا لتوسّع كان منهم فهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الافتار ويعدّ نفسه خاسراً ويعدها الفقر ويأمرها بالبخل خيفة أن تمرّ به قوارع الدهر وان يصيبه ما أصاب القرون الأولى فاقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبدلنا وإيّاك خيراً منه زكاة وأقرب رحماً .. ولبعض الكتّاب أمّا بعد فان كثير المواعيد من غير نجح عار على المطلوب اليه وقلتها مع نجح الحاجة مكرمة من صاحبها وقد رددتنا فى حاجتنا هذه فى كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كأنا قد رضينا بالتعلل لها دون النجاح .. كقول القائل

لاتجعلنّا كـكمّون بمزرعة ... إن فاته الماء أروته المواعيد

وكتب آخر .. ما رأيت مثل طيب قولك أمرّه سوء فعلك ولا مثل بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ولا مثل قرب عدتك باعدها افراط مطالك ولا مثل أنس مذاهبك أوحش منه اختبار عواقبك حتى كأن الدهر أودعك لطيف الحيلة بالمكر بأهل الخلّة

وكأنه زينك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة .. وقد قيل : وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتأجيل .. وقال بعضهم : وعدتنا مواعيد عرقوب ومطالتنا مطل نعاس الكلب وغررتنا غرور السراب ومنّيتنا أماني الكمّون .. ولبعضهم : أمّا بعد فلا تدعني معلقاً بوعدك فالعذر الجميل أحسن من المطل الطويل فان كنت تريد الانعام فانجح وان تعذّرت الحاجة فاوضح واعلمني ذلك لأصرف وجه الطلب الى غيرك .. وذكروا ان فتى من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم : ألك امرأة . قال : لا . قال : فتزوّج وعليّ المهر . فرجع الى أمه فأخبرها الخبر فقالت

إذا حدّثتك النفسُ انك قادرٌ ... على ما حوت أيدي الرجال فكذّب

فتزوّج وأتى عمرو بن العاص فاعتلّ عليه ولم ينجز وعده فشكى ذلك الى أمه فقالت

لا تغضبنّ علي امرئ في ماله ... وعلى كرائم جرّ مالك فاغضب

ووصف اعرابي رجلا فقال : له بشر مطمع ومطل مؤيس وكنتُ منه أبداً بين الطّمع واليأس لا بذل سريح ولا مطل مريح .. وقال اعرابي : أنا من فلان في أماني تهبط العصم وخلف يذكر العدم ولست بالحريص الذي اذا وعده الكذوب علق نفسه لديه وأتعب راحلته اليه .. وذكر اعرابي رجلا فقال : له مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس .. ويقال : سرعة اليأس أحد النجحين .. وقال بعضهم : مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل وبرق الخُلّب وأماني الكمّون ونار الحباحب وصلف تحت الراعدة .. ومما قيل في ذلك

أروحُ وأغدُ ونحوكمُ في حوائجي ... فأُصبحُ فيها غدوة كالذي أمسى

وقد كنتُ أرجو للصديق شفاعتي ... فقد صرتُ أرضى أن أشفّع في نفسي

ولأبي نواس

وعدتني وعدك حتّى إذا ... أطمعتني في كنز قارون

جئتَ من الليل بمسألة ... تغسلُ ما قلتَ بصابون

ولأبي تمام

يحتاج من يرتجي نوالكم ... إلى ثلاث من غير تكذيب

كنوز قارون أن تكون له ... وعمر نوح وصبر أيوب

وقال آخر

إني رأيت من المكارم حسبكم ... أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

وقال حسان بن ثابت

إني لأعجب من قول غررت به ... حلو يمد اليه السمع والبصر

لو تسمع الصم من صم الجبال به ... ظلت من الراسيات الصم تنحدر

كالخمر والشهد يجري فوق ظاهره ... وما لباطنه طعم ولا خبر

وكالسراب شبيها بالغدير وإن ... تبغ السراب فلا عين ولا أثر

لا ينبت العشب عن برق وراعدة ... غراء ليس لها سيل ولا مطر

وقال آخر

رأيت أبا عثمان يبذل عرضه ... وخبز أبي عثمان في أحرز الحرز

يحن الى جاراته بعد شبعه ... وجاراته غرثى تحن إلى الخبز

وقال آخر

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة ... حتى نزلت على أوفى بن منصور

الحابس الروث في أعفاج بغلته ... خوفا على الحب من لقط العصافير

وقال آخر

نوالك دونه خرط القتاد ... وخبزك كالثريا في البعاد

ترى الإصلاح صومك لا لنسك ... وكسر الخبز من عمل الفساد

أَرَى عُمْرَ الرَّغيفِ يَطولُ جِدًّا ... لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ قَومِ عادِ

وقال آخر

اللَّؤْمُ مِنكَ على الطَّعامِ طِباعُ ... فَعِيالُ بَيْتِكَ ما حَيِيتَ جِياعُ
وإذا يَمُرُّ بِبابِ دارِكَ سائِلٌ ... حَمَلَتْ عليهِ نَوابِحٌ وسِباعُ
وعلى رَغيفِكَ حَيَّةٌ مَسمومَةٌ ... وعلى خُوانِكَ عَقْرَبٌ وشَجاعُ

وقال آخر

يا تارِكَ البَيْتِ على الضَّيفِ ... وهارِبًا عنهُ منَ الخَوْفِ
ضَيفُكَ قَدْ جاءَ بِخُبْزٍ لهُ ... فارْجِعْ وكُنْ ضَيْفًا على الضَّيفِ
إذا اشْتَهَى الضَّيفُ طَبِيخَ الشِّتا ... أَتاهُ بالشَّهْوَةِ في الصَّيفِ
وإنْ دَنا المِسْكينُ مِنْ بابِهِ ... شَدَّ على المِسكينِ بالسَّيفِ

وقال آخر

أَرَى ضَيْفَكَ بالدَّارِ ... وكَرْبُ الجُوعِ يَخْشاهُ
على خُبْزِكَ مَكْتُوبٌ ... سَيَكْفِيكُمُ اللهُ

وقال آخر

لأَبي نوحٍ رَغيفٌ ... أَبَدًا في حُجْرِ دايَه
أَبَدًا يَمْسَحُهُ الدَّهـ ... ـرُ بِكُمٍّ ووِقايَه
ولهُ كاتِبُ سِرٍّ ... خَطَّ فيهِ بِعِنايَه
فَسَيَكْفِيكُمُ اللَّـ ... ـهُ إلى آخِرِ الآيَه

وقال آخر

الخبزُ يبطئ حين يدعو به ... كأنه يقدم من قاف
ويمدح الملح لأصحابه ... يقول هذا ملح سيراف
سيان أكل الخبز في داره ... وقلع عينيه بخطاف

وقال آخر

فتى لا يغار على عرسه ... ولكن يغار على خبزه
فمنه يد الجود مقبوضة ... وكف السماحة في عجزه

وقال آخر

يصونون أثوابهم في التخوت ... وأزواجهم بذلة في السكك
ينحون من رام رغفانهم ... ويدنون من رام حل التكك

وقال آخر

أما الرغيف على الخوا ... ن فمن حمامات الحرم
ما إن يمس ولا يمـ ... ـس ولا يذاق ولا يشم
فتراه أخضر يابساً ... بالي النقوش من الهرم

وقال آخر

أتينا أبا طاهر مفطرين ... إلى داره فرجعنا صياما
وجاء بخبز له حامض ... فقلت دعوه وتوا كراما

وقال آخر

يبخل بالماء ولو أنه ... منغمس في وسط النيل
شحاً فلا تطمع في خبزه ... ولو تشفعت بجبريل

وعن حذيفة بن محمد الطائي قال : قال الرشيد ما لأحد من المولدين ما لأبي

نواس فى الهجاء

وما رَوَّحتنا لتذُبَّ عنّا ... ولكن خفتَ مَرْزِئةَ الذُّبابِ

شرابُك كالسَّرابِ إذا التقينا ... وخبزُك عند منقطع التُّرابِ

وقال آخر

خانَ عهدِى عَمْرٌو وما خُنْتُ عهدَه ... وجفانى وما تغيَّرْتُ بعدَه

ليسَ لي ما حييتُ ذنبٌ إليهِ ... غيرَ أنى يوماً تغدَّيتُ عندَه

وقال الخليل بن احمد العروضى الأزدىّ

فكفّاهُ لم تُخْلَقا للنَّدَى ... ولم يكُ بُخْلُهما بِدْعَه

فكفٌّ على الخبزِ مقبوضةٌ ... كما نقصَتْ مائةٌ تسعَه

وكفٌّ ثلاثةُ آلافِها ... وتسعُ مئيها الهاشرْعَه (١)

وقال ابن أبي البغل

وكلُّ مَنْ أجتدِيهِ في بلَدٍ ... أرُومُ مما لَدَيْهِ فى صفَدْ

يعقدُ لي باليَسارِ أربعةً ... منقوصةً تسعةً إلى العَدَدْ

وقال آخر

أتيتُ أبا عَمْرٍو أُرَجِّي نوالَهُ ... فزادَ أبو عَمْرٍ على حزنِي حُزْنا

فكُنتُ كباغى القرنِ اسلَمَ أُذْنَهُ ... فآبَ بلا أُذْنٍ ولم يَستفِدْ قرْنا

(١) — قلت فى هامش الاصل ما نصه وذكر جعفر بن محمد التميمي فى كتابه الجامع فى اللغة الشرعة المثل يقال هذا شرعة ذاك أى مثله وعلى هذا تأولوا قول الخليل رحمه الله فكف وذكر الابيات الثلاثة ثم قال يريد مثلها أي مثل الأولى وانا أرى أن تكون شرعة هاهنا دينا وسنة قال هذا لها دينا

محاسن الشجاعة

قيل ،، كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان لسناً فاتكا شجاعا شاعراً وكان قد أبرّ على أهل هجر ونواحيها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبّخه بتلاعب جحدر به ويأمره بالتجرد فى طلبه حتى يظفر به فبعث العامل الى فتية من بنى يربوع بن حنظلة فجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدراً أو أتوه به أسيراً ووعدهم أن يوفدهم الى الحجاج ويسنى فرائضهم فخرج الفتية في طلبه حتى اذا كانوا قريباً منه بعثوا اليه رجلا منهم يريه انهم يريدون الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمأن اليهم فبينما هم على ذلك اذ شدوه وثاقاً وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج وكتب يثنى على الفتية فلما قدموا على الحجاج قال له :أنت جحدر ، قال : نعم ، قال : ما حملك على ما بلغنى عنك ، قال : جراءة الجنان وجفوة السلطان وكلب الزمان ، قال ، وما الذى بلغ من أمرك فيجترئ جنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك ، قال : لو بلاني الأمير لوجدني من صالحي الاعوان وبهم الفرسان وممن أوفى على أهل الزمان ، قال الحجاج : إنّا قاذفوك فى قبّة فيها أسد فان قتلك كفانا مؤونتك وان قتلته خليناك ووصلناك ، قال : قد أعطيتَ اصلحك الله الأمنيّة واعظمت المنة وقرّبت المحنة ، فأمر به فاستوثق منه بالحديد وأُلقي في السجن وكتب الي عامله بكسكر يأمره أن يصيد له أسداً ضارياً فلم يلبث العامل أن بعث اليه بأسود ضاريات قد أبرّت على أهل تلك الناحية ومنعت عامّة مراعيهم ومسارح دوابهم فجعل منها واحداً فى تابوت يجرّ على عجلة فلما قدموا به على الحجاج أمر فأُلقي فى حيّز وأُجيع ثلاثا ، ثم بعث الى جحدر فاخرج وأعطي سيفاً ودُلّي عليه فمشى الى الاسد ،، وأنشأ يقول

لَيْثٌ وليثٌ فى مكانٍ ضَنْكِ ... كِلاهُما ذو أَنَفٍ ومَحْكِ

وصَوْلةٍ في بَطْشَةٍ وفَتْكِ ... إنْ يَكْشِفِ اللهُ قِناعَ الشَّكِّ

وظَفَراً بجُوْجُؤٍ وبَرْكِ ... فهوَ أَحَقُّ مَنْزِلٍ بتَرْكِ

الذِّئْبُ يَعْوِي والغُرَابُ يَبْكِي

حتى اذا كان منه على قدر رمح تَخَطَّى الأسد وزأر وحمل عليه فتلقّاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الأسد كأنه خيمة قوّضتها الريح فانثنى جحدر وقد تلطّخ بدمه لشدة حملة الأسد عليه فكبر الناس ، فقال الحجاج : ياجحدر ان أحببت أن الحقك ببلادك وأحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك وان أحببت أن تقيم عندنا أقمت فأسنينا فريضتك . قال : أختار صحبة الأمير ففرض له ولجماعة أهل بيته .. وأنشأ جحدر يقول

يا جُمْلُ إنَّكِ لو رأيتِ بَسالَتي ... في يومِ هَيْجٍ مُرْدِفٍ وعَجاجِ

وتقدُّمي للَّيثِ أَرْسُفُ نحوَهُ ... حتَّى أُكابِدَهُ على الإحراجِ

جَهْمٌ كأنَّ جبينَهُ لمَّا بدَا ... طبَقُ الرَّحا متفجِّرُ الأَنْباجِ

يَرْنو بناظرَتينِ تحسبُ فيهما ... مَنْ ظنَّ خالَهُما شعاعُ سِراجِ

شَثْنٌ براسنُهُ كأنَّ نُيوبَهُ ... زُرْقُ المعاولُ أو شذاةُ زُجاجِ

وكأنَّما خيطَتْ عليهِ عباءةٌ ... برْقاءُ أو خلَقٌ منَ الدِّيباجِ

قِرْنانِ مُحْتَضِرانِ قد رَبَّتْهُما ... أُمُّ المَنيَّةِ غيرُ ذاتِ نِتاجِ

وعلمتُ أنِّي إنْ أُبِيتُ نزالَهُ ... أَني منَ الحَجَّاجِ لستُ بناجِ

فمشَيْتُ أَرْسُفُ في الحديدِ مُكبَّلاً ... بالموتِ نفسي عندَ ذاكَ أُناجي

والنَّاسُ منهُمْ شامتٌ وعصابةٌ ... عبراتُهُمْ لي بالخلوقِ شواجي

ففلَقْتُ هامتَهُ فخرَّ كأنَّهُ ... أَطْمٌ تقوَّضَ مائلَ الأبراجِ

ثمَّ انثنيتُ وفي قميصي شاهدٌ ... مِمَّا جرى من شاخبِ الأَوْداجِ

أيقنتُ أنِّي ذو حفاظٍ ماجدٌ ... مِنْ نَسْلِ أَملاكٍ ذَوِي أَتْواجِ

فلئنْ قذفتُ إلى المنيةِ عامدًا إنى لخيرِكِ بعدَ ذلكِ راجى

عَلِمَ النّساءُ بأنّني لا أنثنى (١) إذْ لا يثقنَ بغيرةِ الأزواجِ

وحكي عن الطفيل بن عامر العمرى قال : خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلا أحب الوحدة فبينا أنا أسير اذ ضللت الطريق الذى أردته فسرت أيّاماً لا أدرى أين أتوجه حتى نفد زادي فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك ويئست من الحياة فبينا أنا أسير اذ أبصرت قطيع غنم في ناحية من الطريق فملت اليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان قال لي : يا ابن العمّ أين تريد • فقلت: أردت حاجة لي فى بعض المدن وما أظننى الا قد ضللت الطريق • فقال : أجل ان بينك وبين الطريق مسيرة أيّام فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك فنزلت فرمى لفرسى حشيشاً وجاء إلىّ بثريد كثير ولبن ثم قام الى كبش فذبحه وأجج ناراً وجعل يكبّب لي ويطعمني حتى اكتفيت فلما جنّنا الليل قام وفرش لي وقال : قم فارم بنفسك فان النوم أذهب لتعبك وارجع لنفسك فقمت ووضعت رأسي فبينا أنا نائم اذ أقبلت جارية لم تر عيناي مثلها قط حسنا وجمالا فقعدت الى الفتى وجعل كل واحد منهما يشكو الي صاحبه ما يلقى من الوجد به فامتنع علي النوم لحسن حديثهما فلما كان فى وقت السحر قامت الى منزلها فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له : ممن الرجل • قال : أنا فلان بن فلان • فانتسب لي فعرفته فقلت له : ويحك ان أباك لسيد قومه فما حملك على وضعك نفسك فى هذا المكان • فقال : أنا والله أخبرك كنت عاشقاً لابنة عمي هذه التي رأيتها وكانت هي أيضاً لي وامقة فشاع خبرنا فى الناس فأتيت عمي فسألته أن يزوجنيها فقال : يا بنيّ والله ما سألت شططاً وما هى بآثر عندى منك ولكن الناس قد تحدّثوا بشئ وعمّك يكره المقالة القبيحة ولكن انظر غيرها فى قومك حتى يقوم عملك بالواجب لك • فقلت : لا حاجة لي فيما ذكرت وتحملت عليه بجماعة من قومي فردّهم وزوّجها رجلا من ثقيف له رئاسة وقدر فحملها الي ههنا وأشار بيده الي خيم كثيرة بالقرب منا

(١) — المشهور فى رواية البيت (ممن يغار على النساء حفيظة البيت الخ

فضاقت عليّ الدنيا برحبها وخرجت في اثرها فلما رأتني فرحت فرحاً شديداً فقلت لها: لا تخبري أحداً اني منك بسبيل ثم أتيت زوجها وقلت : انا رجل من الأزد أصبت دماً وانا خائف وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك في اصطناع المعروف ولي بصر بالغنم ان رأيت أن تعطيني من غنمك شيئاً فاكون في جوارك وكنفك فافعل . قال : نعم وكرامة فاعطاني مائة شاة وقال لي : لا تبعد بها من الحي وكانت ابنة عمي تخرج إليّ كل ليلة في الوقت الذي رأيت وتنصرف فلما رأى حسن حال الغنم أعطاني هذه فرضيت من الدنيا بما ترى . قال : فأقمت عنده أيّاما فبينا انا نائم اذ نهض وقال : يا أخا بني عامر . قلت له : ما شأنك . قال : ان ابنة عمي قد أبطأت ولم تكن هذه عادتها ووالله ما أظن ذلك إلا لأمر حادث فحدّثني . فجعلت أحدّثه ،، فانشأ يقول

ما بالُ ميّةَ لا تأتي كعادتها ... هل ها جها طربٌ أو صدّها شغلُ

لكنّ قلبيَ لا يعنيه غيرُكمُ ... حتى الممات ولا لي غيرَكمْ أملُ

لو تعلمين الذي بي من فراقكمُ ... لما اعتذرتِ ولا طابت لكِ العللُ

نفسي فداؤكِ قد حلّأتِ بي حرقاً ... تكاد من حرّها الاحشاء تنفصلُ

لو كان عاديةٌ منهُ على جبلٍ ... لزلّ وانهدّ من أركانه الجبلُ

فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح وقام ومرّ نحو الحيّ فابطأ عني ساعة ثم أقبل ومعه شيء وجعل يبكي عليه . فقلت له : ما هذا . قال : هذه ابنة عمي افترسها السبع فأكل بعضها ووضعها بالقرب مني فاوجع والله قلبي ثم تناول سيفه ومرّ نحو الحي فابطأ هنيهة ثم أقبل الي وعلى عاتقه ليث كأنه حمار فقلت له : ما هذا . قال : صاحبي . قلت : وكيف علمته . قال : اني قصدت الموضع الذي أصابها فيه وعلمت أنه سيعود الى ما فضل منها فجاء قاصداً الى ذلك الموضع فعلمت انه هو فحملت عليه فقتلته ثم قام فحفر في الارض فامعن وأخرج ثوبا جديداً وقال : يا أخا بني عامر اذا انا مت فادرجني معها في هذا الثوب ثم ضعنا في هذه الحفرة وهل التراب واكتب هذين

البيتين على قبرنا وعليك السلام

كُنَّا على ظَهْرِها والعيشُ في مَهَلٍ ... والدَّهرُ يجمعُنا والدَّارُ والوَطَنُ

فخانَنا الدَّهرُ في تفريقِ الفِتنا ... واليومَ يجمعُنا في بطنِها الكفنُ

ثم التفتَ الى الأسد وقال

ألا أيُّها الليثُ المُدِلُّ بنفسه ... هُبِلْتَ لقد جرَّتْ يداكَ لنا حزْنا

وغادَرْتني فرْداً وقد كُنتُ ألفاً ... وصيَّرْتَ آفاقَ البلادِ لنا سجْنا

أأصحبُ دهراً خانني بفراقِها ... معاذَ إلهي أنْ أكونَ له خِدْنا

ثم قال : يا أخا بني عامر اذا فرغت من شأننا فصح في أدبار هذه الغنم فردّها الى صاحبها ثم قام الي شجرة فاختنق حتى مات فقمت فادرجتهما في ذلك الثوب ووضعتهما في تلك الحفرة وكتبت البيتين على قبرهما ورددت الغنم الي صاحبها وسألني القوم فأخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا والله لننحرن عليه تعظيما له فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا الينا فنُحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا ... وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا لي شهاب بن حرقة السعدي في الأسرى أو القتلى فطلبوه فوجدوه في الأسرى فلما أُدخل على الحجاج قال له من انت قال انا شهاب بن حرقة قال والله لأقتلنّك قال لم يكن الأمير بالذي يقتلني قال ولِمَ قال لأنّ فيّ خصالا يرغب فيهن الأمير قال وما هنّ قال ضروب بالصفيحة هزوم للكتيبة أحمى الجار وأذب عن الذمار واجود على العسر واليسر غير بطيء عن النصر قال الحجّاج ما احسن هذه الخصال فاخبرني بأشد شيء مرّ عليك قال نعم اصلح الله الأمير

بينا انا اسير * ومركبي وثير ... في عصبة من قومي * في ليلتي ويومي

يمضون كالأجادل * في الحرب كالبواسل ... انا المطاع فيهم * في كل ما يليهم

فسرت خمساً عوماً * وبعدَ خمس يوما ... حتى وردت ارضا * ما ان ترام عرضا

من بلد البحرين * عند طلوع العين ... فهجتهم نهارا * الشمس المغارا

حتى اذا كان السحر * من بعد ما غاب القمر ... اذا انا بعير * يقودها خفير

موقـرة متـاعا * مقبـلة سراعا فصلت بالسنـان * مع سـادة فتيان
فسقتهـا جميعـا * أخراهـا سريعا أريد رمل عالج * أمهج بالعناجيج
أسير فى الليالي * خرقاً بعيداً خالي وقد لقينا تعبا * وبعد ذاك نصبا
حتى اذا هبطنا * من بعد ما صعدنا عنت لنا بَيْدانه * قد كان فيها عانه
رميتها بقوسي * فى مهمه كالترس حتى اذا ما أمعنت * بالنفر ثم درمت
وردت قصراً منهلا * فى جوفه طام حلا وعنـده خُيمه * فى جوفها نعيمه
عزيزة كالشمس * فاقت جميع الأنس فعجت مهرى عندها * حتى وقفت معها
حييت ثم ردّت * في لطف وحيّت فقلت يا لعـوب * والطفلة العروب
هل عندكم قراء * إذ نحن بالعراء قالت نعم برحب * في لطف وقرب
أربع هنا عتيدا * ولا تكن بعيـدا حتى يجئك عامر * مثل الهلال زاهر
فعجت عن قريب * فى باطن الكثيب حتى رأيت عامرا * يحمل ليثاً خادرا
على عتيق سـابح * كمثل طود اللاح

قال : وكان الحجاج متكئاً فاستوى جالساً ثم قال : ويحك دعنا من السجع والرجز وخذ فى الحديث . قال : نعم أيها الأمير ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة وأوقد عليها ناراً وشقّ عن بطن الأسد وألقى مراقه في النار فجعلت أصلح الله الامير أسمع للحم الأسد نشيشاً فقالت له نعيمة : قد جاءنا ضيف وأنت فى الصيد . قال : فافعل . قالت . ها هو ذاك بظهر الكثيب والخيمة فأومأت اليّ فأتيتها فاذا أنا بغلام أمرد كأن وجهه دارة القمر فربط فرسى الي جنب فرسه ودعانى الى طعامه فلم أمتنع من أكل لحم الاسد لشدة الجوع فاكلت أنا ونعيمة منه بعضه وأتي الغلام على آخره ثم مال الى زقّ فيه خمر فشرب ثم سقاني فشربت ثم شرب الغلام حتي أتي على آخره فبينا نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل أصحابي فقمت وركبت فرسي وتناولت رمحي وصرت معهم ثم قلت : يا غلام خلّ عن الجارية ولك ما سواها . فقال : ويلك احفظ المعالجة . قلت : لا بدّ من الجارية . فالتفت اليها وقال لها : قومي ثم قال : يا فتيان هـل لكم فى العافية والا فارس وفارس . فبرز اليه رجل من أصحابي فقال له الغلام : من أنت فلست

أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كفؤاً أعرفه . فقال : أنا عاصم بن كلبة السعدي فشدّ عليه .. وأنشأ يقول

إنَّكَ يا عاصِمُ بي لَجاهِل ... إذْ رُمْتَ أمراً أنتَ عنهُ ناكِل
إني كَمِيٌّ في الحُروبِ باسِلْ ... ليثٌ إذا اصطكَّ اللُّيوثُ بازِل
ضَرّابُ هاماتِ العِدَى مُنازِل ... قتّالُ أقْرانِ الوَغا مُقاتِل

ثم طعنه فقتله وقال : يا فتيان هل لكم فى العافية والا فارس وفارس فتقدم اليه آخر من أصحابى فقال له الغلام : من أنت . فقال : أنا صابر بن حرقة . فشد عليه وأنشأ يقول

إنَّكَ والإلهِ لستَ صابرا ... على سِنانٍ يجلُبُ المَقادِرا
ومُنْصُلٍ مِثلَ الشِّهابِ باتِرا ... فى كَفِّ قَرْمٍ يمْنَعُ الحَرائِرا
إني إذا رُمْتُ امرأً فآسِرا ... يكونُ قِرْنى فى الحُروبِ بائِرا

ثم طعنه فقتله وقال : يا فتيان هل لكم فى العافية والا فارس لفارس فلما رأيت ذلك هالني أمره وأشفقت على أصحابى فقلت : احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك انشأ يقول

الآنَ طابَ المَوْتُ ثمَّ طابا ... إذ تَطلُبونَ رَخصةً كِعابا
ولا نُرِيدُ بَعدَها عِتابا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رمحها فما زال يجالدنا ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجلا فاشفقت على أصحابى فقلت : يا غلام قد قبلنا العافية والسلامة . فقال : ما كان أحسن هذا لو كان أولا ونزلنا وسالمنا ثم قلت يا عامر بحق المصالحة من انت قال انا عامر بن حرقة الطائى وهذه ابنة عمي ونحن في هذه البرّية منذ زمان ودهر مامر بنا انسي غيركم فقلت من أين طعامكم قال حشرات الطير والوحش والسباع قلت فمن أين شرابكم قال الخمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة او مرتين قلت ان معى مائة من

الابل موقرة متاعاً فخذ منها حاجتك فقال لا أرب لي فيها ولو أردت ذلك لكنت اقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين . فقال الحجاج . الآن يا عدوّ الله طاب قتلك لغدرك بالفتى قال كان خروجي على الامير اصلحه الله اعظم من ذلك فان عفى عني الامير رجوت أن لا يؤاخذني بغيره فأطلقه ووصله ورده الى بلده

﴿ ضدّه ﴾

قال .. دخل ابو زبيد الطائي على عثمان بن عفّان في خلافته وكان نصرانياً فقال له بلغني انك تجيد وصف الأسد . فقال له : لقد رأيت منه منظراً وشهدت منه مخبراً لا يزال ذكره يتجدد على قلبي . قال : هات ما مرّ على رأسك منه . قال : خرجت يا أمير المؤمنين في صيابة من أفناء قبائل العرب ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهارى باكسائها القزوانيات ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك الشام فاخروّط بنا المسير في حمارّة القيظ حتى اذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه واذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصرّ الجندب وضايق العصفور الضب في وجاره قال قائلنا : ايها الركب غوّروا بنا في دوح هذا الوادي فاذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغنّة وأطياره مرنّة فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات فاصبنا من فضلات المزاود واتبعناها بالماء البارد فانّا لصف حرّ يومنا ومماطلته ومطاولته إذ صرّ أقصى الخيل أذنيه وفحص الأرض بيديه ثم ما لبث أن جال فمحم وبال فهمهم ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد واحد فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغل فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أن قد أتينا وانه السبع لا شكّ فيه ففزع كل امرئ منا إلى سيفه واستله من جُرّبانه ثم وقفنا له رزدقاً فاقبل يتظالع في مشيته كأنه مجنوب او في هجار اصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كأنما يخبط هشيما او يطأ صريماً واذا هامة كالمجنّ وخدّ كالمسنّ وعينان سجراوان كأنهما سراجان يقدان وقصرة رَبِلة وهزمة رهلة وكتد مُغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكفّ شثنة البراسن الى مخالب كالمحاجن ثم ضرب

بذنبه فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغار الأخرق ثم تمطى فأسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ثم تجهم فازبأر فلا والذي بيته فى السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزاره كان ضخم الجزاره فوهصه ثم أقعصه فقضقض متنه وبقر بطنه فجعل يلغ فى دمه فذمرت أصحابي فبعد لأى ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة كأن به شيهماً حولياً فاختاج من دونى رجلا أعجز ذا حوايا ففضه نفضة فتزايلت أوصاله وانقطعت أوداجه ثم نهم فقرقر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فارتعشت الأيدى واصطكت الأرجل وأطت الأضلاع وارتجت الأسماع وحملجت العيون وانخزلت المتون ولحقت الظهور البطون ثم ساءت الظنون .. وانشأ يقول

عَبُوسٌ شَمُوسٌ مُصْلَخِدٌّ خُنابِسٌ ... جَرِيٌّ عَلى الأَرْواحِ لِلقِرْنِ قاهِرُ
مَنِيعٌ وَيَحْمِي كُلَّ وادٍ يَرُومُهُ ... شَدِيدُ أُصُولِ الماضِغَيْنِ مُكابِرُ
بَراثِنُهُ شَثْنٌ وعَيْناهُ فِي الدُّجَى ... كَجَمْرِ الغَضا فِي وَجْهِهِ الشَّرُّ ظاهِرُ
يَدِلُّ بِأَنْيابٍ حِدادٍ كَأَنَّها ... إِذا قَلَّصَ الأَشْداقَ عَنها خَناجِرُ

فقال عثمان : اكفف لا أم لك فلقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كأنى أنظر اليه يريد يوثبني .. وقيل فى المثل : هو اجبن من هجرس — وهو القرد — وذلك انه لا ينام الا وفى يده حجر مخافة أن يأكله الذئب ،، وحدثنا رجل بمكة قال : اذا كان الليل رأيت القرود تجتمع في موضع واحد ثم تبيت مستطيلة واحداً فى اثر واحد فى يد كل واحد منهم حجر لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها وان نام واحد وسقط الحجر من يده فزع فتحرك الآخر فصار قدامه فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت من الموضع الذي باتت فيه على ثلاثة أميال أو أكثر جبناً ،، وقيل : هو أجبن من صافر وهو طائر يتعلق برجليه وينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفاً من أن ينام فيؤخذ ،، وقيل أيضاً : هو أجبن من المنزوف ضرطاً ،وكان من حديثه أن

نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا انتبه ضربنه وقلن له قم فاصطبح ويقول : لو لعادية تهتنني ـ أى خيل عادية عليكن مغيرة فادفعها عنكن ـ فلما رأين ذلك فرحن وقلن ان صاحبنا لشجاع ثم أقبلن وقلن تعالين نجربه فأتينه كما كن يأتينه فأيقظنه فقال : لو لعادية تهتنني ، فقلن له : نواصي الخيل معك ، فجعل يقول : الخيل الخيل ويضرط حتى مات فضرب به المثل ..

وقيل لجبان : انهزمت فغضب الأمير عليك ، قال : يغضب الأمير وأنا حي أحب إلىّ من أن يرضى وانا ميت .. وقيل لبعض المجّان : مالك لا تغزو ، قال : والله اني لأبغض الموت على فراشى فكيف أمرّ اليه ركضاً .. قال : وقال الحجاج لحميد الارقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب : ياحميد هل قاتلت قط ، قال لا أيها الأمير إلّا فى النوم . قال : وكيف كانت وقعتك ، قال : انتبهت وأنا منهزم .. ومما قيل في ذلك من الشعر

ظَلَّتْ تُشَجِّعُنِى هِنْدٌ بِتَضْلِيلِ ... وَلِلشَّجَاعَةِ خَطْبٌ غَيرُ مَجْهُولِ

هَاتِى شُجَاعاً لِغَيرِ القَتْلِ مَصْرَعُهُ ... اوجِدْكِ أَلْفَ جَبَانٍ غَيرِ مَقْتُولِ

الحَرْبُ تُوسِعُ مَنْ يَصْلَى بِهَا حَرِباً ... يُتْمَ العِيَالِ وإِثْكَالَ المَثَاكِيلِ

اسمُ الوَغَى اشتُقَّ مِنْ غَوْغَاءَ يُحْرِبُهَا ... يَغْدُونَ لِلمَوْتِ كَالطَّيرِ الأَبَابِيلِ

واللهِ لَوْ أَنَّ جِبْرِيلاً تَكَفَّلَ لِى ... بِالنَّصْرِ مَاخَاطَرَتْ نَفْسِي لِجِبْرِيلِ

هَلْ غَيرَ أَنْ يَعْذِرُونِى أَنَّنِى فَشِلٌ ... فَكُلُّ هَذَا نَعَمْ فَاغْرُوا بِتَعْزِيلِى

إِنْ أَعْتَذِرْ مِنْ فِرَارِى فِي الوَغَى أَبَدَا ... كَانَ اعْتِذَارِى رَدِيداً غَيرَ مَقْبُولِ

إِسْمَعْ أُخَبِّرْكَ عَنْ بَأْسِي بِذِي سَلَبٍ ... خِلَافَ بَأْسِ المَسَاعِيرِ البَهَالِيلِ

لِمَّا بَدَتْ مِنْهُمُ نَحْوِى عَشَوْزَنَةٌ ... شَمَّاءُ تَشْرَعُ فِي عَرْضِي وَفِي طُولِي

فقلتُ ويحكُمُ لا تَرْهَبوا جَلَدِي ... رُمْحي كسيرٌ وسيفي غيرُ مَصْقولِ
لمَّا اتَّقيتُهُمُ طوعًا بذاتِ يدٍ ... وانْصعْتُ أطوي الفلا ميلاً إلى ميلِ
اللهُ خلَّصني منهمْ وفلْسفتي ... حتى تخلَّصتُ مخضوبَ السَّراويلِ

وقال آخر

أضحَتْ تُشجِّعُني هندٌ فقلتُ لها ... إنَّ الشَّجاعةَ مقرونٌ بها العطَبُ
لا والذي حجَّتِ الأنصارُ كعبتَهُ ... ما يشتهي الموتَ عندي مَنْ لهُ أَرَبُ
للحربِ قومٌ أضلَّ اللهُ سعيَهُمُ ... إذا دعَتْهمْ إلى حوْماتِها وثَبوا
ولستُ منهمْ ولا أهوى فعالَهمُ ... لا القتلُ يُعجبُني منهمْ ولا السلبُ

وقال آخر

يقولُ لي الأميرُ بغيرِ جرْمٍ ... تقدَّمْ حينَ حلَّ بنا المِراسُ
فمالي إنْ أطعتُكَ في حياةٍ ... ولا لي غيرَ هذا الرَّاسِ راسُ

محاسن حب الوطن

قال عمر بن الخطاب : لولا حب الوطن لخرب بلد السوء ، وكان يقال : بحب الاوطان عمرت البلدان ،، وقال جالينوس : يتروّح العليل بنسيم أرضه كما تتروّح الارض الجدبة ببل المطر .. وقال بقراط : يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها ،، ومما يؤكد ذلك قول اعرابي وقد مرض بالحضر فقيل له : ماتشتهي . فقال: مخيضاً رويّاً وضبّاً مشويّاً .. وقد قيل : أحق البلدان بنزاعك اليها بلد أمصّك حلب رضاعه ،، وقيل : احفظ أرضاً ارضخك رضاعها واصلحك غذاؤها وارع حمى اكتنفك فناؤه .. وقيل : لا تشكُ بلداً فيه قبائلك .. وقيل : من علامة الرشد أن تكون النفس

الى أوطانها مشتاقة والى مولدها توّاقة .. وحدثنا بعض بنى هاشم قال قلت لاعرابي من اين اقبلت قال من هذه البادية قلت واين تسكن منها قال مساقط الحمى حمى ضرية ما إن لعمر الله أريد بها بدلا ولا ابتغي عنها حولا حفّتها الفلوات فلا يعلو ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بأرفه عيش واوسع معيشة واسبغ نعمة قلت مما طعامكم قال بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيات وربما والله أكلنا القدّ واشتوينا الجلد فلا نعلم احداً أخصب منا عيشاً فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة .. وقيل لاعرابي كيف تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شئ ظله فقال وهل العيش إلّا ذاك يمشى أحدنا ميلا فيرفضّ عرقاً كأنه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساه وتقبل الرياح من كل جانب فكأنه فى ايوان كسرى .. وقال بعض الحكماء عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك .. وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان . وقيل فما الذل قال التنقل في البلدان والتنحي عن الاوطان .. وقال بعض الأدباء الغربة ذلّة والذلّة قلّة .. وقال الآخر لا تنهضن عن وطنك ووكرك فتنقصك الغربة وتصمّتك الوحدة .. وشبهت الحكماء الغريب باليتيم الاطيم الذي ثكل ابويه فلا ام ترأمه ولا أب يحدب عليه .. وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذى زايل ارضه وفقد شربه فهو ذاوٍ لا يثمر وذابل لا ينضر .. وكان يقال الجالي عن مسقط رأسه كالعير النافر عن موضعه الذى هو لكل سبع فريسة ولكل كلب قنيصة ولكل رام رميّة .. واحسن من ذلك واصدق قول الله عزّ وجلّ ﴿ ولولا أنْ كَتَبَ اللهُ عليهِمُ الجَلاءَ ﴾ وقال تعالى ﴿ ولوْ أنّا كَتَبنا عليهم أنِ اقتلوا أنفُسكم اوِ اخرُجوا مِنْ دِيارِكم ما فعلوهُ إلّا قَليلٌ منهم ﴾ فقرن جلّ ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل . وقال تقدّست اسماؤه ﴿وما لَنا ألّا نُقاتِلَ فى سَبيلِ اللهِ وقد أُخرِجْنا مِن دِيارِنا وأبنائنا ﴾ فجعل القتال بازاء الجلاء .. وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم الخروج عن الوطن عقوبة .. ومما قيل فى ذلك من الشعر

اذا ما ذكرتُ الشَّعْرَ فاضتْ مدامعي ... وأضحى فؤادي نهبةً للهمائم

حنيناً إلى أرْضٍ بها اخضرَّ شاربي ... وحلَّتْ بها عني عقود التمائم
وألطف قوْم بالفتى أهلُ أرْضه ... وأرْعاهمُ للمرْء حقَّ التقادُم

وقال آخر

أحِنُّ إلى أرْضِ الحجاز وحاجتي ... خيامٌ بنجْدٍ دونها الطَّرْفُ يقْصُرُ
وما نظَري من نحو نجْدٍ بنافعي ... أجَلْ لا ولكني على ذاكَ أنْظُرُ
ففي كلِّ يوْمٍ نظْرَةٌ ثمَّ عبْرَةٌ ... لعينيكَ يجْري ماؤُها يتحدَّرُ
متى يستَرِحْ قلبٌ فإمَّا مُحاذِرٌ ... حزِينٌ وإمَّا نازِحٌ يتذكَّرُ

وقال آخر

نقِّلْ فؤادكَ حيْثُ شئْتَ من الهوَى ... ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّلِ
كمْ منزِلٍ في الأرْضِ يألفه الفتى ... وحنينُهُ أبدًا لأوَّلِ منزِلِ

وقال ابن أبي السرح قرأت على حائط بيتي شعر وهما

إنَّ الغريبَ ولوْ يكونُ ببلْدَةٍ ... يُجْبى إليهِ خراجُها لغريبُ
وأقلُّ ما يلْقى الغريبُ من الأذى ... أنْ يُستذَلَّ وأنْ يُقالَ كذُوبُ

قال وقرأت على حائط بعسكر مكرم

إنَّ الغريبَ إذا ينادي موجعًا ... عندَ الشدَّائدِ كانَ غيرَ مُجابِ
فإذا نظرْتَ إلى الغريبِ فكُنْ لهُ ... مُتَرحِّمًا لتباعُدِ الأحْبابِ

وقال وقرأت على حائط ببغداد

غريبُ الدَّارِ ليْسَ لهُ صديقُ ... جميعُ سؤَالِهِ أينَ الطَّريقُ
تعلَّقَ بالسؤَالِ لكلِّ شيْءٍ ... كما يتعلَّقُ الرَّجُلُ الغريقُ

فلا تجزعْ فكلُّ فتىً سيأتي ... على حالاتهِ سَعةٌ وضيقُ

قال ووجدت على حائط باب مكتوباً

عليكَ سلامُ اللهِ يا خيرَ منزلٍ ... رحلنا وخلّفناكَ غيرَ ذميمِ

فإنْ تكنِ الأيّامُ فرّقنَ بيننا ... فما أحدٌ من ريبها بسليمِ

وقال آخر

وإنّ اغترابَ المرءِ من غيرِ حاجةٍ ... ولا فاقةٍ يسمو لها لعجيبُ

فحسبُ امرئٍ ذُلاً ولو أدركَ الغنى ... ونالَ ثراءً أنْ يُقالَ غريبُ

وقال آخر

إنّ الغريبَ وإنْ يكنْ في غبطةٍ ... لمعذّبٌ وفؤادُهُ محزونُ

ومتى يكونُ معَ التغرّبِ عاشقاً ... ومفارقاً يا ربِّ كيفَ يكونُ

وقال آخر

إنّ الغريبَ ذليلٌ أينَ ما سلكا ... لو أنّهُ ملكُ كلّ الورى ملكا

إذا تغنّى حمامُ الأيكِ في غصنٍ ... حنّ الغريبُ إلى أوطانهِ فبكى

وقال آخر

سلِ اللهَ الإيابَ منَ المغيبِ ... فكم قدْ ردّ مثلكَ من غريبِ

وسلّ الحزنَ منكَ بحسنِ ظنٍّ ... ولا تيأسْ من الفرجِ القريبِ

وقل آخر

تصبّرْ ولا تعجلْ وقيتَ منَ الردى ... لعلّ إيابَ الظاعنينَ قريبُ

فقلتُ وفي قلبي جوىً لفراقها ... ألا لا تصبّرْني فلستُ أجيبُ

وقال آخر

أعاذِلَ حبي للغريبِ سجيَّةٌ ... وكلُّ غريبٍ للغريبِ حبيبُ

لئن قلتُ لم أجزعْ من البينِ إنْ مضوا ... لطيَّتِهمْ إني إذاً لكذوبُ

بلى غُبَّراتُ الشوقِ أضرمتِ الحشا ... ففاضتْ لها من مُقْلتيَّ غروبُ

وقال آخر

إذا اغتربَ الكريمُ رأى أموراً ... مجلَّلةً يشيبُ لها الوليدُ

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أن يكو ... نَ كذا تفرُّقُنا سريعا

بخلَ الزمانُ عليَّ أنْ ... نبقى كما كُنَّا جميعا

فأحلَّني في بلدةٍ ... وأحلَّكَ البلدَ الشسيعا

قد كنتُ أنتظرُ الوصا ... لَ فصرتُ أنتظرُ الرُّجوعا

وقال آخر

نسيمُ الخزامى والرياحُ التي جرتْ ... بنجدٍ على نجدٍ تذكِّرُني نجدا

أتاني نسيمُ السدرِ طيباً إلى الحِمى ... فذكَّرني نجداً فقطَّعني وجدا

وفي معناه ﴿ الدعاء للمسافر ﴾ بايمن طالع واسرّ طائر .. ولا كبا بك مركب ولا اشتّ بك مذهب ولا تعذّر عليك مطلب .. سهل الله لك السير وأنالك القصد وطوى لك البعد بمسرة الظفر وكرامة المدخر .. على الطائر الميمون والكوكب السعد الى حيث تتقاصر ايدي الحوادث عنك وتتقاعس ثوائب الأيام دونك بسهولة المطلب ونجاح المنقلب .. كان الله لك في سفرك خفيراً وفي حضرك ظهيراً بسعي نجيح وأوب سريح .. بصّرك الله محالك وهداك رحلك وسرّ بأوبتك أهلك ولا زلت آمنا مقيما وظاعنا بأسعد جد وأنجح

مطلب وأسر منقلب وأكرم بدأة وأحمد عاقبة .. اشخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة آئباً بالنجح والغبطة محوطاً فيما تطالعه بالعناية والشفقة .. في ودائع الله وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه وذمامه ،، وقال رجل للنبي صلي الله عليه وسلم: اني أريد سفراً . فقال : في كنف الله وستره زوّدك الله التقوى ووجّهك الي الخير حيث ما كنت أستخلف الله فيك وأستخلفه منك ،، وقال الشاعر

في كنفِ اللهِ وفي سترِه ... مَنْ ليسَ يخلُو القلبُ مِنْ ذِكْرِه

وقال آخر

إرحلْ أبا بشرٍ بأيمنِ طائرٍ ... وعلى السَّعادةِ والسَّلامةِ فانزِلِ

﴿ ضده ﴾

قال بعض حكماء الفلاسفة اطلبوا الرزق في البعد فانكم ان لم تكسبوا مالا غنمتم عقلا كثيراً ،، وقال آخر لا يألف الوطن الا ضيق العطن ،، وقيل لا توحشنّك الغربة اذا آنستك النعمة ،، وقيل الفقير في الأهل مصروم والغني في الغربة موصول ،، وقال لا تستوحش من الغربة اذا أنستَ مصروما ،، وقيل أوحشْ قومك ما كان في إيحاشهم أنسك واهجر وطنك ما نبتْ عنه نفسك ،، وانشد

لا يمنعنّكَ خفضُ العيشِ في دَعةٍ ... نزوعُ نفسٍ إلي أهلٍ وأوطانِ

تلقى بكلّ بلادٍ إنْ حللْتَ بها ... أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

وقال آخر

نبتْ بكَ الدّارُ فسرْ آمناً ... فللفتى حيثُ انتهى دارُ

وفي معناه ﴿ الدعاء على المسافر ﴾ بالبارح الاشأم والسانح الاعضب والصرد الأنكد . والسفر الأبعد .. لاستمرت به مطيته ولا استتبت به امنيته ولا تراخت منيته .. بخس مستمر وعيش مرّ .. لا قرى اذا استضاف ولا أمن اذا خاف ،، ويقال ان علياً عليه

السلام لما اتصل به مسير معاوية قال لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا اصاب غيثاً ولا سار الا ريثاً ولا رافق الّا ليثاً ابعده الله واسحقه واوقد على اثره واحرقه لا حطّ الله رحله ولا كشف محله ولا بشّر به اهله لا زكى له مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسّر له مراما لا فرج الله له غمه ولا سرّي همه لا سقاه الله ماء ولا حلّ عُقده ولا اورى زنده جعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق ،، وانشد

بأنكدِ طائرٍ وبشرّ فالِ ... لأبعدِ غايةٍ وأخسّ حالِ
بجدِّ السُّدِّ حيثُ يكونُ منّي ... كما بينَ الجنوبِ إلى الشمالِ
غريباً تمتطي قدميكَ ذعراً ... على خوفٍ تحنّ إلى العيالِ

وقال آخر

إذا استقلّتْ بكَ الرّكابُ ... فحيثُ لا درّتِ السّحابُ
وحيثُ لا تبتغي فلاحاً ... وحيثُ لا يُرتجى إيابُ
وحيثُ ما دُرتَ فيهِ يوماً ... قابلكَ الذّئبُ والغرابُ

وقال آخر

فسر بالنّحوسِ إلى بلدةٍ ... تُعمّرُ فيها ولا تُرزقُ
ولا تمرعُ الارضُ من زهرةٍ ... ولا يثمرُ الشّجرُ المُورقُ
تغيضُ البحارُ بها مرّةً ... ويكدي السّحابُ بها المُغدقُ

وقال آخر

أدني خُطاكَ الهندُ والصّينُ ... وكلُّ نحسٍ بكَ مقرونُ
بحيثُ لا يأنسُ مستوحشٌ ... وحيثُ لا يفرحُ محزونُ
تهوي بكَ الأرضُ إلى بلدةٍ ... ليسَ بها ماءٌ ولا طينُ

محاسن الدهاء والحيل

الهيثم بن الحسن بن عمار قال ،، قدم شيخ من خزاعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعي فلما رأى ما تصنع سوقة المختار من الإعظام جعل يقول : يا عباد الله ابا المختار يصنع هذا والله لقد رأيته يتتبع الإماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال : ما هذا الذى بلغنى عنك • قال : الباطل ، فأمر بضرب عنقه ، فقال : لا والله لا تقدر على ذلك • قال : ولِمَ • قال : اما دون أن أنظر اليك وقد هدمت مدينة دمشق حجراً حجراً وقتلت المقاتلة وسبيت الذرّية ثم تصلبنى على شجرة على نهر والله انى لأعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطئ ذلك النهر فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهم : ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه فقال : يا أخا خزاعة أومزاح عند القتل • قال : انشدك الله أن أقتل ضياعا • قال: وماتطلب ههنا • قال : أربعة آلاف درهم اقضى بها دينى • قال : ادفعوها اليه وإيّاك أن تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه ،، قال كان سراقة البارقى من ظرفاء أهل الكوفة فأسره رجل من أصحاب المختار فأتي به المختار فقال له : أسرك هذا • قال سراقة : كذب والله ما أسرنى إلّا رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق • فقال المختار : الا ان الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله • فلما أفلت منه أنشأ يقول

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا إِسحاقَ أَنِّى ... رَأَيتُ البَلْقَ دُهْماً مُصْمَتَاتِ

أُرِى عَيْنَيَّ مالمْ تَرَأَيَاهُ ... كِلَانَا عالِمٌ بالتُّرَّهاتِ

كَفَرْتُ بوَحيكمْ وجَعَلْتُ نَذْراً ... علَيَّ قِتالَكمْ حَتَّى المَماتِ

وعنه قال ،، كان الأحوص بن جعفر المخزومي يتغدّى في دير اللجّ في يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقي فلما كان على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما الأطمار قال حمزة لسراقة : أين يذهب بنا فى البرد ونحن فى أطمار • قال :

سأكفيكه فبينما هو يسير إذ دنا منهم راكب مقبل فحرّك سراقة دابته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالأحوص فقال له ما خبّرك الراكب • قال : زعم ان خوارج خرجت بالقطقطانة • قال : بعيد • قال : ان الخوارج تسير فى ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر • وكان الأحوص أحد الجبناء فثنى رأس دابته وقال : ردوا طعامنا نتغدّى فى المنزل فلما حاذى منزله قال لأصحابه : ادخلوا ومضى الي خالد بن عبد الله القسرىّ فقال : خرجت خارجة بالقطقطانة • فنادى خالد فى العسكر فجمعهم ووجّه خيلا تركض نحو اللاج لتعرف الخبر فاعلموه أنه لا أصل للخبر • فقال للأحوص : من أعلمك بهذا قال : سراقة • قال : وأين هو • قال : فى منزلي ، فأرسل اليه من أتاه به قال : أنت أخبرته عن الخارجة ، قال : ما فعلت أصلح الله الأمير ، قال له الأحوص : أتكذّبنى بين يدي الأمير ، قال خالد : ويحك أصدقنى ، قال : نعم أخرجنا فى هذا البرد وقد ظاهر الخز والوبر ونحن فى أطمارنا هذه فأحببت أن أرده ، فقال له خالد : ويحك وهذا مما يتلاعب به ،، وسراقة هذا هو القائل

قالوا سُراقةُ عنّينٌ فقلتُ لهمْ ... اللهُ يعلمُ أنى غيرُ عنّينِ

فانْ ظننتُمْ بيَ الشيءَ الذي زعموا ... فقرّبوني من بنتِ ابنِ ياسينِ

وذكروا ،، أن شبيب بن يزيد الخارجي مرّ بغلام مستنقع في الفرات فقال له : يا غلام اخرج انى أسألك ، فعرفه الغلام فقال له : انى أخاف أفآمن انا اذا خرجت حتى البس ثيابى ، قال : نعم ، فخرج وقال : والله لا ألبسها اليوم ، فضحك شبيب وقال : خدعتني ورب الكعبة ووكل به رجلا من أصحابه يحفظه أن لا يصيبه أحد بمكروه ،، قال وكان رجل من الخوارج يقول

فمنّا يزيدُ والبطينُ وقعنبٌ ... ومنّا أميرُ المؤمنينَ شبيبُ

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فأمر بطلب قائله فأتي به فلما وقف بين يديه قال : أنت القائل * ومنا أميرُ المؤمنين شبيب *

قال : لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين انما قلت * ومنا أميرَ المؤمنين شبيب *

فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاعراب من الرفع الي النصب ،، وزعموا أن عمرو بن معدى كرب هجم فى بعض غاراته على شابة جميلة متفردة وأخذها فلما أمعن بها بكت فقال : ما يبكيك ، قالت : أبكي لفراق بنات عمي هنّ مثلي فى الجمال وأفضل مني خرجت معهن فانقطعنا عن الحي . قال : وأين هن ، قالت : خلف ذلك الجبل ووددت اذ أخذتني انك أخذتهن معي فامض الى الموضع الذى وصفته ، فمضى الي هنالك فما شعر بشيء حتى هجم على فارس شاك فى السلاح فعرض عليه المصارعة فصرعه الفارس ثم عرض عليه ضروبا من المناوشة فغلبه الفارس فى كلها فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدّم الكناني فاستنقذ الجارية ،، وعن عطاء ان مخارق بن عفان ومعن بن زائدة تلقّيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يريا أحسن منها شبابا وجمالا فصاحا به خلّ عنها ومعه قوس فرمى بها وهابا الاقدام عليه ثم عاد ليرمي فانقطع وتره وسلم الجارية واسند فى جبل كان قريباً منه فابتدراه وأخذا الجارية وكان فى أذنها قرط فيه درّة فانتزعاه من أذنها ، فقالت : وما قدر هذه لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وتر قد أعدّه ونسيه من الدهش فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فأخذه وعقده فى قوسه فولّيا ليست لهما همّة الّا النجاء وخليا عن الجارية ،، وعن الهيثم قال كان الحجاج حسوداً لا يتمّ له صنيعة حتى يفسدها فوجه عمارة بن تميم اللخمي الي عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ماصنع ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه ما أحب وكره منافرته وكان عاقلا رفيقاً فجعل يرفق به ويقول ايها الأمير أشرف العرب أنت من شرفته شرف ومن وضعته اتضع وما ينكر ذلك لك مع رفقك ويمنك ومشورتك ورأيك وما كان هذا كله الا بصنع الله وتدبيرك وليس أحد أشكر لبلائك مني ومن ابن أشعث وما خطره حتى عزم الحجاج على المسير الي عبد الملك فاخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين امير فلم يزل يلطف بالحجاج فى مسيره ويعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قامت الخطباء بين يديه وأثنت على الحجاج قام عمارة فقال يا أمير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتي ومناصحتي وبلائي ، قال الحجاج : يا أمير المؤمنين صنع وصنع ومن بأسه ونجدته وعفافه كذا وكذا وهو أيمن الناس نقيبة

وأعلمهم بتدبير وسياسة ولم يُبق فى الثناء عليه غاية ، فقال عمارة : قد رضيت يا أمير المؤمنين ، قال نعم فرضى الله عنك حتى قالها ثلاثا فى كلها يقول قد رضيت ، قال عمارة فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيئ التدبير الذي قد أفسد عليك أهل العراق وألّب الناس عليك وما أتيت إلّا من قبله ومن قلّة عقله وضعف رأيه وقلّة بصره بالسياسة فلك والله أمثالها ان لم تعزله ، فقال الحجاج مه يا عمارة ، فقال لا مه ولا كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حرّ ان سار تحت راية الحجاج ابداً ، قال انى أعلم أنه ما خرج هذا منك الّا عن معتبة ولك عندي العتبى وأرسل اليه ارجعْ اليه ، فقال ما كنت أظن ان عقلك على هذا أرجع اليه بعد الذى كان من طعنى عليه وقولي عند أمير المؤمنين ما قلت فيه لا ولا كرامة

﴿ ضلّه ﴾

قيل فى المثل .. هو أحمق من عجل ، وهو عجل بن لجيم ، وذلك انه قيل له ما سمّيت فرسك ففقأ عينه وقال سميته الأعور ، فقال الشاعر فيه

رَمَتْنى بنو عِجْلٍ بداءِ أبيهمُ ... وأيُّ امرىءٍ فى النّاسِ أحمقُ من عِجْلِ

أليسَ أبوهمْ عارَ عينَ جوادِه ... فصارَتْ بهِ الأمثالُ تُضْرَبُ فى الجَهْلِ

وقيل .. هو أحمق من هبنّقة . وبلغ من حمقه انه ضلّ له بعير فجعل ينادي من وجد بعيرى فهو له ، فقيل له ولِمَ تنشده ، قال وأين حلاوة الظفر والوجدان .. واختصمت اليه الطفاوة وبنو راسب في رجل ادّعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنّقة فلما رأوه قالوا انظروا بالله من طلع علينا فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة الحكم فى هذا بيّن اذهبوا به الى نهر البصرة فألقوه فيه فان كان راسبياً رسب وان كان طفاوياً طفا ، فقال الرجل لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيّين ولا حاجة لي في الديوان .. وقيل هو أحمق من دُغة وهى مارية بنت منبح تزوّجت فى بنى العنبر وهي صغيرة فلما ضربها المخاض ظنت انها تريد الخلاء فخرجت

تتبرّز فصاح الولد فجاءت منعرفة فصاحت يا أتّماه هل يفتح الجعر فاه قالت نعم ويدمو أباه فسُبّت بنو العنبر بذلك فقيل بنو الجعراء .. وقيل هو أحمق من باقل وكان اشترى عنزاً باحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت العنز ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يريد أحد عشر درهما فعيّروه بذلك قال الشاعر

يَلومونَ فى حُمْقِهِ باقِلاً ... كأَنَّ الحَماقَةَ لمْ تُخْلَقِ
فلا تكْثِرُوا العَذْلَ فى عيِّهِ ... فلَلصَّمْتُ أَجْمَلُ بالأَحْمَقِ
خُرُوجُ اللِّسانِ وفَتْحُ البَنانِ ... أَحَبُّ الينا مِنَ المَنْطِقِ

ومما قيل فيه أيضا من الشعر

يا ثابتَ العَقْلِ كمْ عايَنْتَ ذا حُمُقٍ ... الرِّزْقُ أَغْرَى بِهِ مِنْ لازِمِ الجَرَبِ
فإِنَّني واجِدٌ في النّاسِ واحِدَةً ... الرِّزْقُ أَروَغُ شيْءٍ عنْ ذَوِي الأَدَبِ
وخَصْلَةً ليْسَ فيها مَنْ يُخالِفُنى ... الرِّزْقُ والنوكُ مَقْرُونانِ فِي سَبَبِ

وقال آخر

أَرى زَمَناً نَوْكاهُ أَسعَدُ خَلْقِهِ ... على أَنَّهُ يَشْقَى بِهِ كلُّ عاقِلِ
عَلاَ فَوْقَهُ رِجلاهُ والرَّأْسُ تَحْتَهُ ... فكَبَّ الأَعالي بارْتِفاعِ الأَسافِلِ

وقال آخر

كمْ مِنْ قَوِيٍّ قَوِيٍّ فِي تَقَلُّبِهِ ... مُهَذَّبِ اللُّبِّ عنه الرِّزْقُ مُنْحَرِفُ
ومِنْ ضَعِيفٍ ضَعِيفِ العَقْلِ مُخْتَلِطٍ ... كأَنَّه مِنْ خَلِيجِ البَحْرِ يَغْتَرِفُ

obeikandl.com

محاسن المفاخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيّد ولد آدم ولا فخر .. وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد بيتاً من شعر

إني امرؤٌ حِميَرِيٌّ حينَ تَنْسِبُنِي ... لا مِنْ رَبيعةَ آبائي ولا مُضَرِ

فقال له : ذلك ألأم لك وأبعد عن الله ورسوله .. وقال بعضهم

إذا مُضَرُ الحَمْرَاءُ كانتْ أُرُومتي ... وقامَ بنَصْرِي خازِمٌ وابنُ خازِمِ

عَطَسْتُ بأَنفٍ شامِخٍ وتَناوَلَتْ ... يَدايَ الثُّرَيَّا قاعداً غيرَ قائمِ

شعيب بن ابراهيم عن عليّ بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال .. مرّ العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بنفر من قريش وهم يقولون انما محمد فى أهله مثل نخلة نبتت فى كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه فخرج حتى قام فيهم خطيباً ثم قال : أيها الناس من أنا . قالوا : أنت رسول الله . قال : أفأنا محمد عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ان الله عزّ وجلّ خلق خلقه فجعلني من خيرخلقه ثم جعل الخلق الذي انا منهم فريقين فجعلني من خيرالفريقين من خلقه ثم جعل الخلق الذي أنا منهم شعوباً فجعلني فى خيرهم شعباً ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً فأنا خيركم بيتاً وخيركم والداً وانى مُباه لكم قم يا عباس فقام عن يمينه ثم قال قم يا سعد فقام عن يساره فقال يقرّب امرؤ منكم عماً مثل هذا وخالا مثل هذا .. وحدثنا سنان بن الحسن التسترى عن اسماعيل بن مهران العسكريّ عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس رحمهما الله تعالى عن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وانا معه وابو بكر وكان عالماً بأنساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة فتقدّم ابو بكر فسلم عليهم فردّوا عليه السلام فقال من القوم فقالوا من ربيعة ، قال من هامتها أم لهازمها ، قالوا بل من هامتها العظمي. قال وأي هامتها

قالوا ذهل ، قال ذهل الأكبر أم ذهل الأصغر ، قالوا بل الأكبر . قال فمنكم عوف الذى كان يقال لا حُرَّ بوادى عوف ، قالوا لا. قال أفمنكم بسطام بن قيس صاحب الالواء ومنتهى الأحياء ، قالوا لا ، قال أفمنكم جسّاس بن مرة حامي الذّمار ومانع الجار . قالوا لا ، قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة . قالوا لا . قال أفأنتم أخوال الملوك من كندة ، قالوا لا ، قال أفأنتم أصهار الملوك من لخم قالوا لا . قال فلستم من ذهل الأكبر اذاً أنتم من ذهل الأصغر . فقام اليه اعرابي غلام حين بقل وجهه فأخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته يسمع مخاطبته .. فقال

لنا على سائلنا أَنْ نسأَلَهْ والعبءُ لا تعرفهُ أو تحمِلَهْ

يا هذا انك قد سألتنا أيّ مسألة شئت فلم نكتمك شيئاً فأخبرنا ممن أنت ، فقال ابو بكر من قريش . فقال بخ بخ أهل الشرف والرئسة فأخبرنى من أي قريش أنت ، قال من بنى تيم بن مرة ، قال أفمنكم قصيّ بن كلاب الذى جمّع القبائل من فهر فكان يقال له مجمّع ، قال ابو بكر لا ، قال أفمنكم هاشم الذي يقول فيه الشاعر

عَمْرو العُلى هشَمَ الثَّريد لقومه ورجالُ مكّةَ مسْنتونَ عجاف

قال أبو بكر لا ،قال أفمنكم شيبة الحمد الذى كان وجهه يضئ في الليلة الداجية مطعم الطير ، قال لا ، قال أفمن المفيضين بالناس أنت ، قال لا ، قال أفمن أهل الرفادة أنت ، قال لا ، قال أفمن أهل السقاية أنت ، قال لا ، قال أفمن أهل الحجابة أنت ، قال لا ، قال أما والله لو شئت لأخبرتك لست من أشراف قريش . فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب .. فقال الاعرابى

صادَفَ دَرَّ السَّيلِ دَرَّيدْفعُهْ في هَضْبةٍ ترْفعُهُ وتَضعُهْ

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عليّ كرم الله وجهه فقلت : يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابى على باقعة . قال : أجل يا أبا حسن ما من طامّة الّا وفوقها طامّة وان البلاء موكل بالمنطق .. قال وأتى الحسن بن عليّ رضى الله عنهما معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فأمر معاوية بانزاله فبينا معاوية مع عمرو بن

العاص ومروان بن الحكم وزياد المدّعى الى ابي سفيان يتحاورون في قديمهم ومجدهم إذ قال معاوية : قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن بن عليّ وعبد الله بن عباس لقصّروا من أعنتكم . فقال زياد : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان بن الحكم في غرب منطقه ولا لنا في بواذخنا فابعث اليهما حتى نسمع كلامهما . فقال معاوية لعمرو : ما تقول في هذا الليل فابعث اليهما في غد فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما فاتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية فقال : اني أجلكما وأرفع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له فلما استويا في مجلسهما علم عمرو ان الحدّة ستقع به فقال : والله لا بدّ أن أتكلم فان قهرتُ فسبيل ذلك وان قُهِرتُ أكون قد ابتدأت فقال : ياحسن إنّا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بني أمية أصبر على اللقاء وأمضى في الوغاء وأوفى عهداً وأكرم خيما وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطلب . ثم تكلم مروان بن الحكم فقال : كيف لا يكون ذلك وقد قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا . ثم تكلم زياد فقال : ماينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله ويجحدوا الخير في مظانّه نحن الحملة في الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً . فتكلم الحسن ابن عليّ رضى الله عنه فقال : ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة ولكن من الإفك ان ينطق الرجل بالخنا ويصوّر الكذب في صورة الحقّ يا عمرو أفتخاراً بالكذب وجراءة على الافك ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة ابديها مرة بعد مرة اتذكر مصابيح الدّجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الاقران وابناء الطعان وربيع الضيفان ومعدن العلم ومهبط النبوة وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم وقد تبيّن ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال وتساورت الأقران واقتحمت الليوث واعترك المنية وقامت رحاها على قطبها وفرّت عن نابها وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم ومنّ النبي صلى الله عليه وسلم على ذراريّكم وكنتم لعمرى في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب ثم قال : وأما أنت يامروان فما أنت والإكثار في قريش وأنت ابن طليق وأبوك طريد تتقلب في خزاية الى سوءة وقد أتي بك الى أمير المؤمنين يوم الجمل

فلما رأيت الضرغام قد دَمِيت براثنه واشتبكت أنيابه كنت كما قال الأول

بَصْبَصْنَ ثمَّ رَمَينَ بالأَبْعارِ

فلما منّ عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ما ضاق عليك وغصصت بريقك لا تقعد منّا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ونحن من لا يدرك ناعار ولا يلحقنا خزاية ثم التفت إلى زياد وقال : وما أنت يا زياد وقريش ما أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً ولا قديماً ثابتاً ولا مَنبتاً كريماً كانت أمك بغياً يتداولها رجالات قريش وفجار العرب فلما وُلدتَ لم تعرف لك العرب والداً فادّعاك هذا — يعني معاوية — فما لك والافتخار تكفيك سمية ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي سيد المؤمنين الذي لم يرتد على عقبيه وعمّاي حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة ، ثم التفت الى ابن عباس فقال : انما هي بغاث الطير انقض عليها البازي، فأراد ابن عباس أن يتكلم فأقسم عليه معاوية أن يكفّ فكفّ ثم خرجا ، فقال معاوية : أجاد عمرو الكلام أوّلاً لولا أن حجّته دحضت وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ثم التفت الى زياد فقال ما دعاك الى محاورته ما كنت إلا كالحجل في كفّ العقاب ، فقال عمرو : أفلا رميت من ورائنا ، قال معاوية : إذاً كنت شريككم في الجهل أفأفاخر رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّه وهو سيد من مضى ومن بقي وأمّه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم : والله لئن سمع أهل الشام ذلك انه لسوأة السوآء فقال عمرو : لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزياداً طحن الرحا بثفالها ووطئهما وطيء البازل القُراد بمنسمه ، فقال زياد : والله لقد فعل ولكنك يا معاوية تريد الاغراء بيننا وبينهم لا جرم والله لا شهدت مجلساً يكونان فيه إلّا كنتَ معهما على من فاخرهما فخلا ابن عباس بالحسن رضى الله عنه فقبّل بين عينيه وقال : افديك يا ابن عمي والله ما زال بحرك يزخر وانت تصول حتى شفيتني من أولاد البغايا ثم ان الحسن رضى الله عنه غاب أياماً ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية: يا أبا محمد اني أظنك تَعِباً نَصِباً فأتِ المنزل فأرح نفسك فقام الحسن رضي الله عنه فخرج

فقال معاوية لعبد الله بن الزبير لو افتخرت على الحسن فأنت ابن حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولأبيك فى الاسلام نصيب وافر ، فقال ابن الزبير : انا له ثم جعل ليلته يطالب الحجيج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضي الله عنه فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى فى مجلسه قال له ابن الزبير : لولا انك خوار فى الحروب غير مقدام ماسلمت لمعاوية الأمر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهوب وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه وكنت حريًّا أن لا تفعل ذلك وأنت ابن عليّ في بأسه ونجدته فما أدري ما الذى حملك على ذلك أضعف حال أم وهي نجيزة ما أظن لك مخرجا من هذين الحالين اما والله لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت انني ابن الزبير واني لا أنكص عن الأبطال وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفية بنت عبد المطلب وأبي الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشدّ الناس بأساً وأكرمهم حسباً في الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الحسن اليه وقال : أما والله لولا ان بني أمية تنسبني الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاوناً بك ولكن سأبيّن ذلك لتعلم اني لست بالكليل أأياى تعير وعليّ تفتخر ولم تك لجدّك فى الجاهلية مكرمة الا تزوّجه عمتي صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها فكيف تفاخر من فى القلادة واسطتها وفي الأشراف ساداتها نحن أكرم أهل الأرض زنداً لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم أني سلمت الأمر لمعاوية فكيف يكون ويحك كذلك وانا ابن أشجع العرب ولدتني فاطمة سيدة النساء وخيرة الامهات لم افعل ويحك ذلك جبناً ولا فرقا ولكنه بايعني مثلك وهو يطلب بترة ويداجيني المودّة فلم أثق بنصرته لأنكم بيت غدر واهل احن ووتر فكيف لا تكون كما اقول وقد بايع أميرَ المؤمنين ابوك ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُضل بها الناس فلما دلف نحو الأعنة ورأى بريق الأسنة قتل بضيعة لا ناصر له وأتى بك اسيراً وقد وطئتك الكُماة باظلافها والخيل بسنابكها واعتلاك الأشتر فعصصت بريقك واقعيت على عقبيك كالكلب اذا احتوشته الليوث فنحن ويحك نور البلاد واملاكها وبنا تفتخر الأمة والينا تلقى مقاليد الا ز

تصول وأنت تخدع النساء ثم تفتخر على بنى الأنبياء لم تزل الأقاويل منا مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس فى دين جدّي طائعين وكارهين ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار الي أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلا عند نكثهما بيعته واتي بك أسيراً تتصبص بذنبك فناشدته الرحم الّا يقتلك فعفى عنك فأنت عتاقة أبي وانا سيدك وأبي سيد أبيك فذق وبال أمرك فقال ابن الزبير : اعذرنا يا أبا محمد فانما حملنى على محاورتك هذا واشتهى الاغراء بيننا فهلاّ إذ جهلتُ أمسكتَ عني فانكم أهل بيت سجيتكم الحلم . قال الحسن : يا معاوية انظراً أركع عن محاورة أحد ويحك أتدري من أى شجرة أنا والى من أنتمي انتم قبل أن اسمك بسمة يحدث بها الركبان فى آفاق البلدان . قال ابن الزبير هو لذلك أهل . فقال معاوية أما انه قد شفا بلابل صدرى منك ورمى مقتلك فبقيت في يده كالحجل فى كف البازي يتلاعب بك كيف شاء فلا أرانك تفتخر على أحد بعدهذا .. وذكروا أن الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال في كلام جرى من معاوية فى ذلك

فيم الكلامُ وقدْ سبقتُ مبرّزاً ... سبقَ الجوادِ من المدى والمقوسِ

فقال معاوية : إيّاى تعنى والله لآتينّك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك انا ابن بطحاء مكة انا ابن أجودها جوداً وأكرمها أبوّة وجدوداً وأوفاها عهوداً انا ابن من ساد قريشاً ناشئاً ، فقال الحسن : أجل إياك اعني أفعليّ تفتخر يا معاوية وانا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك أب كأبي أو قديم كقديمي فان تقل لا تغلب وان تقل نعم تكذب . فقال : أقول لا تصديقاً لقولك ، فقال الحسن رضى الله عنه

ألحقُّ أبلجُ لا تزيغُ سبيلُه ... والحقُّ يعرفُه ذوو الألبابِ

قال .. وقال معاوية ذات يوم وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم أخبروني

باكرم الناس أباً وأماً وعماً وعمة وخالاً وخالة وجداً وجدة ، فقام مالك بن عجلان وأومى الى الحسن بن علي صلوات الله عليه فقال : هو ذا أبوه علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار وعمته أم هانئ بنت أبي طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة بنت خويلد ، فسكت القوم ونهض الحسن فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال : أحُبّ بني هاشم حملك على أن تكلمت بالباطل ، فقال ابن عجلان ما قلت إلّا حقاً وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلّا لم يُعط أمنيته في دنياه وخُتم له بالشقاء في آخرته بنو هاشم أنصركم عوداً وأوراكم زنداً أكذلك هو يا معاوية ، قال اللهم نعم ، قال واستأذن الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له فلما اقبل قال عمرو قد جاءكم الفهِه العيّ الذي كأن بين لحييه لُحقلة ، فقال عبد الله بن جعفر مه والله لقد رمت صخرة ملمومة تحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام فإياك والحسن إيّاك فانك لا تزال راتعاً في لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك فسمع الحسن الكلام فلما أخذ مجلسه قال يا معاوية لا يزال عندك عبد يرتع في لحوم الناس أما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الأمور وتخرج منه الصدور ثم أنشأ يقول

أَتَأْمُرُ يا مُعاوِيَ عَبْدَ سَوْءٍ ... بِشَتْمِي والمَلا مِنّا شُهُودُ

إِذا أَخَذَتْ مَجالِسَها قُرَيْشٌ ... فَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ ما تُرِيدُ

أَأَنْتَ تَظَلُّ تَشْتُمُنِي سَفاهاً ... لِضَغْنٍ ما يَزُولُ ولا يَبِيدُ

فَهَلْ لَكَ مِنْ أَبٍ كَأَبِي تُسامِي ... بِهِ مَنْ قَدْ تُسامِي أَوْ تَكِيدُ

ولا جَدٌّ كَجَدِّي يا ابْنَ حَرْبٍ ... رَسُولِ اللهِ إِنْ ذُكِرَ الجُدُودُ

ولا أُمٌّ كَأُمِّي مِنْ قُرَيْشٍ ... إِذا ما حُصِّلَ الحَسَبُ التَّلِيدُ

فما مثلي تهكّم يا ابن حرب ولا مثلي ينهنهه الوعيد

فمهلاً لا تهيج منّا أموراً يشيب لهولها الطفل الوليد

وذكروا ان عمرو بن العاص قال لمعاوية ابعث الي الحسن بن علي فأمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون فى ذلك مانعيّره به فبعث اليه معاوية فأمره أن يخطب فصعد المنبر وقد اجتمع الناس فحمد الله وأثني عليه ثم قال : أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب ابن عمّ النبي أنا ابن البشير النذير السراج المنير انا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين انا ابن من بُعث الى الجن والانس انا ابن مستجاب الدعوة انا ابن الشفيع المطاع انا ابن اوّل من ينفض رأسه من التراب انا ابن اول من يقرع باب الجنة انا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر وامعن فى هذا الباب ولم يزل حتى أظلمت الأرض على معاوية ، فقال ياحسن قد كنت ترجو ان تكون خليفة ولست هناك ، قال الحسن انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا ابا واماً ولكن ذلك ملك أصاب ملكا يمتع به قليلا ويعذّب بعده طويلا وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعة فكان كما قال الله تعالى ﴿ وإنْ أدْرِى لَعَلَّه فتنة لكم ومَتاع الى حِين ﴾ ثم انصرف ، فقال معاوية لعمرو : ما أردت إلا هتكى ما كان اهل الشام يرون احداً مثلى حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا ؟ قال وقدم الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه اهل بيته ووجوه أهل اليمن واهل الشام فلما نظر اليه معاوية اقعده على سريره واقبل عليه بوجهه يريه السرور به وبقدومه فحسده مروان وقد كان معاوية قال لهم لا تحاوروا هذين الرجلين فقد قلما كم العار عند اهل الشام — يعنى الحسن بن علي رضى الله عنه وعبد الله بن عباس — فقال مروان يا حسن لولا حلم امير المؤمنين وما قد بناه له آباؤه الكرام من المجد والعلا ما أقعدك هذا المقعد

ولقتلك وانت لهذا مستحق بقودك الجماهير الينا فلما قاومتنا وعلمت ألّا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية أذعنت بالطاعة واحتجزت بالبيعة وبعثت تطلب الأمان أما والله لولا ذلك لأراق دمك ولعلمت انا نعطي السيوف حقّها عند الوغى فاحمد الله إذ ابتلاك بمعاوية وعفى عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى ، فنظر اليه الحسن وقال: ويلك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار فى الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها هبلتك أمك لنا الحجيج البوالغ ولنا عليكم ان شكرتم النعم السوابغ ندعوكم الي النجاة وتدعوننا الي النار فشتان ما بين المنزلتين تفتخر ببنى أمية وتزعم انهم صُبُر فى الحرب أسد عند اللقاء ثكلتك الثواكل اولائك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب اما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من فى المجلس ما هالتهم الأهوال ولا حادوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها ولّيت هاربا وأخذت أسيراً فقلدت قومك العار لأنك في الحروب خوار اتهريق دمي فهلاّ أهرقت دم من وثب على عثمان فى الدار فذبحه كما يذبح الحمل وانت تثغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالمرأة الوكعاء ما دفعت عنه بسهم ولا منعت دونه بحرب قد ارتعدت فرائصك وغشى بصرك واستغثت كما يستغيث العبد بربه فانجيتك من القتل ثم جعلت تبحث عن دمي وتحضّ على قتلي ولو رام ذلك معاوية معك لذبح كما ذبح ابن عفان وانت معه أقصر يداً واضيق باعا وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك ثم تزعم انى ابتليت بحلم معاوية اما والله لهو اعرف بشأنه وأشكر لنا إذ ولّيناه هذا الأمر فمتى بدا له فلا يغضين جفنه على القذى معك فوالله لأعنفن أهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ثم لا ينفعك عندذلك الروغان والهرب ولا تنتفع بتدريجك الكلام فنحن من لا يُجهل آباؤنا الكرام القدماء الأكابر وفروعنا السادة الأخيار الأفاضل انطق ان كنت صادقاً ، فقال عمرو: ينطق بالخنا وتنطق بالصدق ،، ثم أنشأ يقول

قد يَضْرُطُ العيرُ والمكواةُ تأْخذُه ... لا يَضرُطُ العيرُ والمكْواةُ فى النّار

ذق وبال أمرك يا مروان ، فأقبل عليه معاوية فقال : قد نهيتك عن هذا الرجل

وأنت تأبى إلا انهماكاً فيما لا يعنيك أربع على نفسك فليس أبوه كأبيك ولا هو مثلك أنت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رب باحث عن حتفه بظلفه فقال مروان ارم دون بيضتك وقم بحجة عشيرتك ثم قال لعمرو : لقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيتيك ومنها ثنيت أعنتك وقام مغضباً . فقال معاوية : لا تجار البحار فتغمرك ولا الجبال فتقهرك واسترح من الاعتذار ،، قال ولقي عمرو بن العاص الحسن بن علي عليهما السلام في الطواف فقال يا حسن ازعمت ان الدين لا يقوم إلّا بك وبأبيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتاً بعد ميله وبيّناً بعد خفائه افيرضى الله قتل عثمان أم من الحق أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرق البيض وانت قاتل عثمان والله انه لألمّ للشعث واسهل للوعث ان يوردك معاوية حياض أبيك ، فقال الحسن صلوات الله عليه: إن لأهل النار علامات يُعرفون بها وهي الإلحاد في دين الله والموالاة لأعداء الله والإنحراف عن دين الله والله انك لتعلم ان علياً لم يتريث في الأمر ولم يشك في الله طرفة عين وايم الله لتنتهين يا ابن العاص أو لأقرعن قَصَّتك ـ يعني جبينه ـ بقراع وكلام وإيّاك والجراءة عليّ فاني من عرفت لستُ بضعيف المغمز ولا بهش المشاشة ـ يعني العظام ـ ولا بمرئ المأكلة واني لمن قريش كأوسط القلادة معرق حسبي لا أدّعي لغير أبي وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب عليك الأمهما حسباً وأعظمها لعنة فإيّاك عني فانما أنت نجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا ،، قال واجتمع الحسن بن علي صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص فقال الحسن: قد علمت قريش بأسرها اني منها في عزّ أرومتها لم اطبع على ضعف ولم أعكس على خسف اعرف نسبي وأدّعي لأبي ، فقال عمرو : وقد علمت قريش انك ابن أقلها عقلا وأكثرها جهلا وان فيك خصالا لو لم يكن فيك إلّا واحدة منها لشملك خزيها كما شمل البياض الحالك وأيم الله لئن لم تنته عما أراك تصنع لأكبسن لك حافة كجلد العائط اذا اعتاطت رحمها فما تحمل أرميك من خللها بأحر من وقع الأثافي أعرك منها أديمك عرك السلعة فانك طالما ركبت المنحدر ونزلت في أعراض الوعر التماساً للفرقة وإرصاداً للفتنة ولن يزيدك الله فيها إلا فظاعة . فقال الحسن : أما والله لو كنت تسمو بحسبك

وتعمل برأيك ما سلكت فج قصد ولا حللت راية مجد أما والله لو أطاعنا معاوية لجعلناك بمنزلة العدوّ الكاشح فانه طال ما تأخر شأوك واستسر داؤك وطمح بك الرجا الى الغاية القصوى التى لا يورق بها غصنك ولا يخضر منها رعيك أما والله لتوشكن يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ولا يخيك منه الروغان اذا التقت حلقتا البطان ،، ابن المنذر عن أبيه عن الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار الحسين بن علىّ رضى الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير فى جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال : أصبحت والله كما قال الشاعر

يالكِ من قُنبُرةٍ بمَعمَرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفِرى
ونقِّرى ما شئتِ أن تُنقِّرى قد ذَهَبَ الصيَّادُ عنكِ فابشري
لا بُدَّ من أخذِكِ يوماً فاصبِرى

خلت الحجاز من الحسين بن علىّ واقبلت تهدر فى جوانبها . فغضب ابن الزبير وقال : والله انك لترى انك أحق بهذا من غيرك ، فقال ابن عباس : انما يرى ذلك من كان فى حال شك وانا من ذلك على يقين ، قال : وبأيّ شئ استحق عندك انك بهذا الأمر أحق مني ، فقال ابن عباس : لانّا أحق بمن يُدلّ بحقه وبايّ شئ استحق عندك انك أحق بها من سائر العرب إلاّ بنا ، فقال ابن الزبير : استحق عندى انى احق بها منكم لشرفي عليكم قديماً وحديثاً ، فقال أنت أشرف أم من شرفت به ، فقال : ان من شرفت به زادني شرفا الى شرفي ، قال : فمنى الزيادة أم منك . فتبسم ابن عباس ، فقال ابن الزبير : يا ابن عباس دعنى من لسانك هذا الذى تقلّبه كيف شئت والله يابني هاشم لا تحبوننا أبداً ، قال ابن عباس : صدقت نحن أهل بيت مع الله لا نحب من أبغضه الله ، قال : يا ابن عباس أما ينبغي لك أن تصفح عن كلمة واحدة ، قال : انما يصفح عمن أقر وأمّا من هرّ فلا والفضل لاهل الفضل ، قال ابن الزبير : فأين الفضل ، قال : عند أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه فى غير أهله فتندم ، قال ابن الزبير : أفلست من أهله ، قال : بلى إن نبذت الحسد ولزمت الجدد . وانقضي حديثهما ،، وروى عن

ابن عباس انه قال : قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بنى أمية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت فقال : يا ابن عباس من الناس ، فقلت : نحن ، قال : فاذا غبتم ، قلت : فلا أحد ، قال : فانك ترى أنى قعدت هذا المقعد بكم ، قلت : نعم فبمن قعدت ، قال بمن كان مثل حرب بن أمية ، قلت : من كفأ عليه اناءه واجاره بردائه ، قال فغضب وقال : أرحنى من شخصك شهراً فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك . فلما خرج ابن عباس قال لخاصته : ألا تسألوني ما الذى أغضب معاوية ، قالوا : بلى فقل بفضلك ، قال : إن أباه حرباً لم يلق أحداً من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق إلّا تقدمه حتى يجوزه فلقيه يوما رجل من تميم فى عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب انا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه وجازه فقال موعدك مكة فخافه التميمي ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب فقال عبد المطلب أجلّ قدراً من أن يجير على حرب فأتي ليلا الي دار الزبير بن عبد المطلب فدقّ بابه فقال الزبير لعبده قد جاءنا رجل إمّا طالب قرى وإما مستجير وقد أجبناه الي ما يريد ثم خرج الزبير اليه ،، فقال التميمى

لاقيتُ حَرْباً فى الثَّنيةِ مُقْبِلاً ... والصُّبحُ أَبْلَجَ ضَوْؤُه للسَّارِى

فدَعا بصوْتٍ واكْتَنى ليَرُوعنى ... وسَمَا علىَّ سُمُوَّ ليثِ ضارِى

فتَرَكْتُهُ كالكَلْبِ يَنْبَحُ ظِلَّهُ ... وأَتَيْتُ قَرْمَ مَعَالِمٍ وفَخارِ

لَيْثاً هِزَبْرًا يُستَجارُ بعزِّهِ ... رَحْبَ المَبَاءةِ مُكْرِماً للجارِ

ولقدْ حَلَفْتُ بمكَّةٍ وبزَمْزَمٍ ... والبيْتِ ذِى الأَحجارِ والأَستارِ

إنَّ الزُّبيرَ لَمانِعِي مِنْ خوْفِهِ ... ما كَبَّرَ الحُجَّاجُ فى الأَمْصارِ

فقدَّمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام اليه فاطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فولّى هارباً يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال : أجرني من الزبير فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقي تحتها ساعة ثم قال له اخرج قال وكيف

أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم فألقى عليه رداءً كان كساه إيّاه سيف بن ذى يزن له طُرّتان خضراوان فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبدالمطلب فتفرقوا عنه ،، قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر فقال عمرو بن العاص: قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطربات بالتغنى محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه صدود عن الشبان ظاهر الطيش رخي العيش أخّاذ بالسلف منفاق بالسرف فقال ابن عباس : كذبت والله أنتْ وليس كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولنعمائه شكور وعن الخنا زجور جواد كريم سيد حليم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا عيّابة مغتاب حلّ من قريش في كريم النصاب كالهزبر الضرغام الجريء المقدام في الحسب القمقام ليس بدعيّ ولا دنيء لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزّارها فاصبح الأمها حسبا وأدناها منصبا ينوء منها بالذليل ويأوى منها الى القليل مذبذب بين الحيين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقدوه فليت شعرى بأي قدر تتعرض للرجال وبأي حسب تعتد به عند النضال ابنفسك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضيع الزنيم أم بمن تمى اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة فى قريش لا بشرف فى الجاهلية شهروا ولا بقديم فى الاسلام ذُكروا جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق بالزور في غير أقرانك والله لكان أبين للفضل وأبعد للعدوان أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طالما ساس داؤك وطمح بك رجاؤك الى الغاية القصوى التى لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك ، فقال عبد الله بن جعفر : اقسمت عليك لما أمسكت فانك عنى ناضلت ولي فاوضت ، فقال ابن عباس : دعني والعبد فانه قد يهدر خالياً ولا يجد ملاحياً وقد أتيح له ضيغم شرس للأقران مفترس وللأرواح مختلس ، فقال ابن العاص : دعنى يا أمير المؤمنين انتصف منه فوالله ما ترك شيئاً ، قال ابن عباس دعه فلا يُبقي المبقي إلّا على نفسه فوالله إن قلبي لشديد وان جوابي لعتيد وانى لكما قال نابغة بنى ذبيان

وقدماً قد قرَعتُ وقارَعوني فما نزرَ الكلامُ ولا شجاني

يَصُدُّ الشاعرُ العرّافُ عني ... صُدُودَ البِكْرِ عن قَرْمٍ هِجانِ

قال .. وبلغ عاتكة بنت عاتم[1] ثالب معاوية وعمرو بن العاص لبنى هاشم فقالت لأهل مكة : أيها الناس ان بني هاشم سادت فجادت ومَلَكَت ومُلِّكَت وفضلت وفُضِّلت واصطفت واصطفيت ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسر واطاغين ولاخازين ولا نادمين ولا هم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بنى هاشم أطول الناس باعا وأمجد الناس أصلا وأعظم الناس حلماً وأكثر الناس علماً وعطاء منا عبد مناف المؤثر .. وفيه يقول الشاعر

كانتْ قُرَيشٌ بيضةً فتفلقتْ ... فالمُحُّ خالصها لعبدِ مَنافِ

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه .. وفيه يقول الشاعر

عَمْرُو العُلا هَشَمَ الثريدَ لقومِهِ ... ورِجالُ مكةَ مُسْنِتونَ عِجافُ

ومنا عبد المطلب الذي سُقينا به الغيث .. وفيه يقول أبو طالب

ونحنُ سُنِيُّ المَحْلِ قامَ شَفِيعُنا ... بمكةَ يَدْعو والمِياهُ تَغُورُ

وابنه أبو طالب عظيم قريش .. وفيه يقول الشاعر

آتيتُهُ مَلِكاً فقامَ بحاجتي ... وتَرَى العُلَيْجَ خائباً مَذْمُوماً

ومنا العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه ماله .. وفيه يقول الشاعر

رَدِيفُ رَسولِ اللهِ لم نَرَ مثلَه ... ولا مِثْلُه حتى القيامةِ يُولَدُ

ومنا حمزة سيد الشهداء .. وفيه يقول الشاعر

أَبا يَعْلَى بكَ الأَرْكانُ هُدَّتْ ... وأَنتَ الماجدُ البَرُّ الوَصُولُ

ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا ليس بغدار ولا جبان

---

(١) — هكذا في الاصل وفى نسخة عاتكة بنت عاتم .. وفي المسامرات غاتمة بنت غاتم

أبدله الله بكلتى يديه جناحين يطير بهما فى الجنة ،، وفيه يقول الشاعر

هاتوا كجعفرنا ومثل عليّنا ... كانا أعزّ الناس عند الخالق

ومنا ابو الحسن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه أفرس بنى هاشم وأكرم من احتبى وانتعل ،، وفيه يقول الشاعر

عليٌّ ألّف القرآنَ صُحُفاً ... ووالى المصطفى طفلاً صبيّاً

ومنا الحسن بن عليّ عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة ،، وفيه يقول الشاعر

يا أجلّ الأنام يا ابن الوصيّ ... أنتَ سبطُ النبيّ وابن عليّ

ومنا الحسين بن علي حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك فخراً ،، وفيه يقول الشاعر

حبُّ الحسينِ ذخيرةٌ لمحبّهِ ... يارَبِّ فاحشُرني غداً في حزبهِ

يا معشر قريش والله ما معاوية كأمير المؤمنين عليّ ولا هو كما يزعم هو والله شانيء رسول الله صلى الله عليه وسلم واني آتية معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأنينه ، فكتب عامل معاوية اليه بذلك فلما بلغه أنها قربت منه امر بدار ضيافة فنظفت وألقى فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد فى حشمه ومماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عاثم فقال لها يزيد ان أبا عبد الرحمن يأمرك أن تنتقلى الي دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت : من أنت كلأك الله ، قال : انا يزيد بن معاوية ، قالت : فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد . فتغيّر لون يزيد وأتى أباه فأخبره فقال : هي أسن قريش وأعظمهم حلماً ، قال يزيد : كم تعد لها ، قال : كانت تُعدّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت : على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان والملام ثم قالت : أفيكم عمرو بن العاص ، قال عمرو : ها أنا ذا ، قالت : أنت تسب قريشاً وبنى هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك يعود السب يا عمرو انى والله عارفة بك وبعيوبك

وعيوب أمك وانى أذكر ذلك : ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها الاثام واذا لامسها الفحل فكان تطفتها أنفذ من تطفته ركبها في يوم واحد أربعون رجل وأما أنت فقد رأيتك غاوياً غير مرشد ومفسداً غير مصلح والله لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت ، وأما أنت يا معاوية فما كنت في خير ولا ربيت فى نعمة فمالك ولبنى هاشم انساؤك كنسائهم أم أعطى أمية فى الجاهلية والاسلام ما أعطي هاشم وكفى فخراً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال معاوية : أيتها الكبيرة أنا كافّ عن بني هاشم ، قالت : فاني أكتب عليك كتابا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يستجيب لى خمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك . فخاف معاوية فخلف أن لا يسب بنى هاشم أبداً ، فهذا ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة .. قال وكان عليّ بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فأخذ عبد الملك يذكر أيام بنى أمية فبينا هو على ذلك إذ نادى المنادي بالأذان فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقال علىّ

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فقال عبد الملك : الحقّ فى هذا أين من أن يكابر .. عليّ بن محمد النديم قال : دخلت على المتوكل وعنده الرضيّ فقال : ياعليّ من أشعر الناس فى زماننا ، قلت : البحتري . قال : وبعده ، قلت : مروان بن أبي حفصة عبدك ، فالتفت الى الرضيّ فقال : يا ابن عم من أشعر الناس ، قال : عليّ بن محمد العلويّ . قال : وما تحفظ من شعره ، قال : قوله

لقد فاخرتنا من قريش عصابة بمطّ خدود وامتداد أصابع
فلمّا تنازعنا القضاء قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع

فقال المتوكل : مامعنى قوله ــ نداء الصوامع ــ قال : الشهادة ، قال : وأبيك انه أشعر الناس .. ومما قيل في هذا المعنى من الشعر قوله أيضاً

بلغنا السماء بانسابنا ولولا السماء لجزنا السماء

فحسبك من سؤدد أننا ... بحسن البلاء كشفنا البلاء
إذا ذكر الناس كنا ملوكاً ... وكانوا عبيداً وكانوا إماء
يطيب الثناء لآبائنا ... وذكر علي يطيب الثناء
هجاني رجال ولم أهجهم ... أبى الله لي أن أقول الهجاء

وقال آخر

وإني من القوم الذين عرفتهم ... إذا مات منهم سيد قام صاحبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب ... بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

وقال آخر

خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه مقاول لسن
لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جوارهم فطن

﴿ ضده ﴾

عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تفتخروا بآبائكم فى الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجعل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية ،، قال وكان الحسن البصرى يقول: يا ابن آدم لِمَ تفتخر وانما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بأقذار ،، وقال بعضهم لرجل : اتفتخر ويحك وأولاك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار ،، وروي عن ابن عباس انه قال: الناس يتفاضلون فى الدنيا بالشرف والبيوتات والإمارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين وأتقاهم أحسنهم يقيناً وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة ،، وقيل في ذلك

يَزِينُ الفتى في النَّاسِ صِحَّةُ عَقلِهِ وإنْ كانَ مَحْظوراً عليهِ مكاسبُهْ

وشَينُ الفتى في النَّاسِ قِلَّةُ عقلِهِ وإنْ كَرُمَتْ آباؤُهُ ومَناسبُهْ

وقيل لعامر بن قيس : ما تقول فى الانسان ، قال : وما أقول فيمن ان جاع ضَرَع وان شبع بغى وطغى ،، وقال بعض الحكماء : لا يكون الشرف بالنسب الا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لأحد منهم على الآخر فضل لأن نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الأفعال لأن الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب ،، قال الشاعر

أبوكَ أَبي والجدُّ لا شكَّ واحدٌ ولكنَّنا عودانِ آسٌ وخِرْوَعُ

وبلغنا عن المدائني انه قال : ليس السؤدد بالشرف وقد ساد الأحنف بن قيس بحلمه وحصين بن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته فى العامّة وسويد بن منجوف بعطفه على أرامل قومه وساد المهلّب بن أبي صفرة بجميع هذه الخصال ،، وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه اعرابي فقال بأبي أنت وأمي يارسول الله من أكرم الناس حسباً ، قال أحسنهم خُلقاً وأفضلهم تقوى ، فانصرف الاعرابي ، فقال ردُّوه ثم قال يا اعرابي لعلك أردت أكرم الناس نسباً ، قال نعم يارسول الله ، قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاين مثل هؤلاء الأباء فى جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم احد أبداً ،، وقال الشاعر فى ذلك

ولمْ أرَ كالأَسباطِ أَبناءَ والدٍ ولا كأَبيهِمْ والداحينَ يُنْسَبُ

قال ودخل عيينة بن حصن الفزارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال انا ابن الأشياخ الأكارم فقال صلى الله عليه وسلم انت إذاً يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله أو اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ،، وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسى

وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال ،، قال وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتاً ولفظاً بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الأولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالاً وصهيباً وسلمان فادخلهم وكان ابو سفيان بن حرب وسهيل ابن عمرو فى عصابة من قريش جلوساً على الباب فقال : يا معشر قريش أنتم صناديد العرب وأشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشيّ وفارسيّ وروميّ ، فقال سهيل : يا أبا سفيان أنفسكم فلوموا ولا تذمّوا أمير المؤمنين دُعي القوم فأجابوا ودُعيتم فأبيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلاً ، فقال أبو سفيان : لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفاً ﴿ فأما صناعات الأشراف ﴾ فانه رُوي ان ابا طالب كان يعالج العطر والبزّ ، وأما أبو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزّازين ، وكان سعد بن أبي وقاص يعذُق النخل ، وكان أخوه عتبة نجّاراً ، وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل بن هشام جزّاراً ، وكان الوليد بن المغيرة حدّاداً ، وكان عقبة بن أبي معيط خمّاراً ، وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خيّاطاً ، وكان ابو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم ، وكان أمية بن خلف يبيع البرم ، وكان عبد الله بن جُدْعان نخّاساً ، وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل ، وكان جرير بن عمرو وقيس ابو الضحاك بن قيس ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدّادين ، وكان المسيّب ابو سعيد زيّاتاً ، وكان ميمون بن مهران بزّازاً ، وكان مالك بن دينار ورّاقاً ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأي خزّازاً ، وكان مجمّع الزاهد حائكاً ،، قيل اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً فى داره بخراسان فلما ولى قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو : هذا كان بستاناً وقد اتخذته لابلك ، فقال قتيبة : ابي كان اشتربان وكان ابو يزيد بستانيان فمنها صار ذلك كذلك ،، قال وذكروا ان المأمون ذكر أصحاب الصناعات فقال : السوقة سفل والصناع انذال والتجار بخلاء والكتّاب ملوك على الناس والناس أربعة أصحاب الحرف وهى امارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالاً عليهم

محاسن الثقة بالله سبحانه

قيل .. خطب سليمان بن عبد الملك فقال : الحمد لله الذى انقذني من ناره بخلافته .. وقال الوليد بن عبد الملك لأشفعنّ للحجاج بن يوسف وقرّة بن شريك عند ربي .. وقال الحجاج يقولون مات الحجاج مه ما أرجو الخير كله إلّا بعد الموت والله ما رضي الله البقاء إلّا لأهون خلقه عليه أليس ابليس اذ قال ﴿ رَبِّ أَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ .. وقال ابو جعفر المنصور الحمد لله الذي أجارني بخلافته وأنقذني من النار بها .. وحدثني ابراهيم بن عبد الله عن أنس ابن مالك قال دخلنا على قوم من الأنصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال استسلمي لأمر الله واحتسبي ، قالت أمات ابنى ، قال نعم ، قالت أحق ما تقولون ، قلنا نعم ، فمدّت يدها الى السماء وقالت اللهم انك تعلم انى أسلمت لك وهاجرت الي نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء أن تغيثني عند كل شدّة فلا تحماني هذه المصيبة اليوم ، فكشف ابنها الذي سجيناه وجهه وما برحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه

﴿ ضدّه ﴾

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه .. يامعشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق فى الدنيا في أربع منازل هو فى ثلاث منها واثق وهو فى الرابعة سيّئ الظن يخاف خذلان الله إياه فأما المنزلة الأولى فانه خلق في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفّاه الله رزقه فى جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع فى اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره اليه إكراهاً ويُوجر إيجاراً حتى ينبت عليه لحمه ودمه فاذا ارتفع عن اللبن وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه

وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلا خشي أن لا يرزق فيثب على الناس فيخون أماناتهم و يسرق امتعتهم و يغصبهم أموالهم مخافة خذلان الله تعالي إياه

محاسن طلب الرزق

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز ،، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أحدث لى سفراً أحدث لك رزقاً ، وفى بعض الحديث سافروا تغنموا ،، وقال الكميت بن زيد الأسدى

ولن يُزِيحَ هُمومَ النَّفْسِ إنْ حَضَرَتْ ... حاجاتُ مِثلِكَ إلاَّ الرَّحْلُ والجَمَلُ

وقال أبو تمام الطائى

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيباجتيْهِ فاغتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

فإني رأيتُ الشَّمسَ زِيدَتْ محبَّةً ... إلى النَّاسِ أنْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فان الكريم محتال والدنيّ عيال ،، وأنشد

فسِرْ في بلادِ اللهِ والتمسِ الغِنى ... تَعِشْ ذا يَسارٍ أو تموتَ فتُعْذرا

ولا تَرْضَ مِنْ عيشٍ بدُونٍ ولا تَنَمْ ... وكيفَ يَنامُ اللَّيلَ مَنْ كانَ مُعْسِرا

وتقول العامة كلب جوّال خير من أسد رابض ، وتقول من غلى دماغه صائفاً غلت قدره شاتياً ،، ووقّع عبد الله بن طاهر من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الأحلام ،، هذا المعنى سرقه من توقيعات انو شروان فانه يقول هرك روذ جَرَد هرك خسبد خواب بيند ،، وأنشد

كَفَى حَزَنًا أَنَّ النَّوَى قَذَفَتْ بِنَا ... بَعِيدًا وَأَنَّ الرِّزْقَ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهْ

وَلَوْ أَنَّنَا إِذْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... غَنِيَ وَاحِدٍ مِنَّا تَمَوَّلَ صَاحِبُهْ

وَلَكِنَّنَا مِنْ دَهْرِنَا فِي مَؤُونَةٍ ... يُكَالِبُنَا طَوْرًا وَطَوْرًا نُكَالِبُهْ

وقال آخر

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا ... مِنَ الْمَالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ

لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَنَالَ غَنِيمَةً ... وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

وقال آخر

وَلَيْسَ الرِّزْقُ عَنْ طَلَبٍ حَثِيثٍ ... وَلَكِنْ أَدْلِ دَلْوَكَ فِي الدِّلَاءِ

تَجِئْكَ بِمِلْئِهَا حِينًا وَطَوْرًا ... تَجِيءُ بِجَمْأَةٍ وَقَلِيلِ مَاءِ

﴿ ضِدّه ﴾

قيل .. وجد في بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة مكتوب عليه كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى عليه السلام خرج ليقتبس ناراً فنودي بالنبوّة .. وبلغنا عن ابن السماك انه قال لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولاً بما أنت مسؤول عنه غداً وإياك والفضول فان حسابها يطول ..

قال الشاعر

إِنِّي عَلِمْتُ وَعِلْمُ الْمَرْءِ يَنْفَعُهُ ... أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي

أَسْعَى لَهُ فَيُعَنِّينِي تَطَلُّبُهُ ... وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعَنِّينِي

وقال آخر

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّعَطُّلِ ضَائِرٌ ... وَلَا كُلُّ شُغْلٍ فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنْفَعَهْ

إذا كانتِ الأَرْزاقُ في القُرْبِ والنوى ... عليكَ سَواءً فاغتنِمْ لَذَّةَ الدَّعَه

وقال آخر

سَهِّلْ عليكَ فإنَّ الرِّزْقَ مَقدُورُ ... وكلُّ مُسْتأْنَفٍ في اللوحِ مَسْطورُ
أَتى القضاءُ بما فيهِ لمُدَّتِهِ ... وكلُّ ما لمْ يكُنْ فيهِ فمَحْظورُ
لا تَكْذِبَنَّ فخيرُ القولِ أَصْدَقُه ... إنَّ الحَريصَ على الدُّنيا لَمَغرورُ

وقال آخر

لا تَعْتِبَنَّ على العِبادِ فإنَّما ... يأْتيكَ رِزْقُكَ حينَ يؤْذَنُ فيهِ

وقال آخر

هيَ المَقاديرُ تَجْري في أَعِنَّتِها ... فاصبِرْ فليسَ لها صَبرٌ على حالِ
يوماً تَريشُ خَسيسَ القومِ تَرْفعُه ... دونَ السَّماءِ ويوماً تَخْفِضُ العالي

وقال آخر

إصبِرْ على زَمَنٍ جَمَّ نوائبُه ... فليسَ منْ شِدَّةٍ إلاَّ لها فَرَجُ
تَلقاهُ بالأَمْسِ في عَمْياءَ مُظلمةٍ ... ويُصْبِحُ اليومَ قَدْ لاحَتْ له السُّرُجُ

وقال آخر

أَلاَ رُبَّ راجٍ حاجةً لا يَنالُها ... وآخَرَ قَدْ تُقْضَى لهُ وهوَ آئسُ
يَحولُ لها هذا وتُقْضَى لغيرِه ... فتأْتي الذي تُقْضَى له وهوَ جالسُ

وقال آخر

فلمَّا أَنْ عُنيتُ بما أُلاقي ... وأَعْيَتْني المَسائلُ بالقُروضِ
دَعَوْتُ اللهَ لا أَرْجو سِواهُ ... ورَبُّ العَرْشِ ذو فَرَجٍ عَريضِ

وقال آخر

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ منفرجُ ... أبشرْ بخيرٍ كأنْ قدْ فرَّجَ اللهُ

اليأسُ يقطعُ أحياناً بصاحبهِ ... لا تيأسنَّ فإنَّ الصانعَ اللهُ

إذا ابتُليتَ فثقْ باللهِ وارضَ بهِ ... إنَّ الذي يكشفُ البلوى هو اللهُ

وقال آخر

وإذا تُصبكَ من الحوادثِ نكبةٌ ... فاصبرْ فكلُّ بليةٍ تتكشَّفُ

محاسن المواعظ

قال الأصمعي حججت فنزلت ضربة فاذا اعرابي قد كوّر عمامته على رأسه وقد تنكّب قوساً فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنما الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقر فخذوا من ممرّكم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم أما بعد فانه لن يستقبل أحد يوماً من عمره إلا بفراق آخرَ من أجله فاستعجلوا لأنفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قويٌّ أقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله إلا اليه وكيف يهرب من يتقلب بين يدى طالبه وانما توفّون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور .. وقال بعض الأعراب ان الموت ليقتحم على بنى آدم كاقتحام الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أغشم من الموت ومن غطف عليه الليل والنهار ارديا ومن وكل به الموت أفناه .. وقال اعرابي كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات لقد عجبت من المرء يفرّ من الموت وهو سبيله ولا أرى أحداً الا استدركه الموت .. وقيل وجد فى كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها ان حاجة الله الى عباده أن

يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأسى المرء على ما فاته والموت يطلبه ،، وقال كسري لم يكن من حقّ عالمه ان يقتل وانى لنادم على ذلك (١) •• قال وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف يكون حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبراً موحشاً بغير أنيس

﴿ ضدّه ﴾

قيل ،، لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعا شديداً فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعراً يعزّيني به أو واعظ يخفف عني فأتسلّى به ؛ فقال رجل من أهل الشام : يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بأن يموت أو بأن يذهب الى مكان ، فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال : مصيبتي فيك زادتني الى مصيبتي مصيبة ،، وأصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال: ليت اني وجدت انساناً يخفف عني مصيبتي ، فقال له الرسول : أقول ، قال : قل ، قال : كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يسقط في بئر أو يغشى عليه أو يكون شئ لا يعرفه ، فضحك الحجاج وقال مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم حين وجّه مثلك رسولا

محاسن فضل الدنيا

قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه : الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها مسجد انبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ويربحون فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوّقت بسرورها الى السرور وببلائها الى البلاء تخويفاً

(١) — هكذا في الاصل وفي العبارة نقص فليحرر

وتحذيراً وترغيباً وترهيبا فيا أيها الذام للدنيا والمفتتن بغرورها مـتى غرّتك أبصارع آبائك من البِلَى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم علّلت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفـاء وتستوصف لهم الأطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفهم باستشفائك بطبك مثلّت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يُغني عنك أحباؤك ثم التفت الي قبور هناك فقال : يا أهل الثراء والعز الأزواج قد نُكحت والأموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال لمن حضر : والله لو أذن لهم لأجابوا بأن خير الزاد التقوى ،، وأنشد

ما أَحسنَ الدُّنيا وإقبالَها ... إذا أَطاعَ اللهَ مَنْ نالَها

مَن لم يُواسِ النَّاسَ من فضلِها ... عرَّضَ للإِدبارِ إقبالَها

قال أبو حازم الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجـه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفّيه رزقه ،، وقال الحسن البصري بينا أنا أطوف بالبيت اذا انا بعجوز متعبّدة فقلت : من أنت ، فقالت : من بنات ملوك غسان ،قلت: فمن أين طعامك ، قالت : اذا كان آخر النهار جاءتني امرأة متزيّنـة فتضع بين يدي كوزاً من ماء ورغيفين ، قلت لهـا : أتعرفينها ، قالت : اللهم لا ، قلت : هي الدنيا خدمتِ ربك جلّ ذكره فبعث اليك الدنيا تخدمتك

﴿ ضـدّه ﴾

زعموا أن زياد بن أبيه مرّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخادمه لمن هذا قيل له هذا دير حُرقة بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليه لنسمع كلامها فجاءت الي وراء الباب فكلمها الخادم فقال لها : كلمي الأمير، فقالت : أأوجز ام أطيل ،قال: بل أوجزي قالت : كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحد أعزّ منا وماغابت تلك الشمس حتى رحمنا عدوّنا قال : فأمر لها بأوساق من شـعير فقالت : أطعمتك يد

شبعاء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبعت .. فمرّ زياد بكلامها فقال لشاعر معه قيّد هذا الكلام ليدرس ،، فقال

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدماً ولا تَسَلْ ... فتىً ذاقَ طَعْمَ الخيرِ مُنْذُ قريبِ

ويقال ،، إن فروة بن إياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فألفاها وهي تبكي فقال لها : ما يبكيك، قالت: ما من دار امتلأت سروراً إلّا امتلأت بعد ذلك ثبوراً ثم قالت

فبينا نَسُوسُ النّاسَ والأَمرُ أمرُنا ... إذا نحنُ فيهِمْ سَوْقَةٌ نَتَنَصَّفُ

فأُفٍّ لِدُنيا لا يَدُومُ نعيمُها ... تَقَلُّبُ تارَاتٍ بنا وتَصَرُّفُ

قال ،، وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبي وقّاص لا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة وعقد لك المنن في أعناق الكرام ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك إلا جعلك سبباً لردّها عليه،، قال وقال عبدالملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمي أيّ الزمان أدركت أفضل وأي ملوكه أكمل ، قال : أما الملوك فلم أر إلّا ذاما وحامداً وأما الزمان فرفع أقواماً ووضع آخرين وكلهم يذم زمانه لأنه يبلى جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع إلّا الأمل ، قال : فأخبرني عن فهم ، قال: هم كما قال الشاعر

درجَ اللّيلُ والنّهارُ على فَهْـ ... ـمِ بنِ عَمرٍو فأَصْبَحوا كالرَّميمِ

وخَلَتْ دارُهم فأَضحَتْ قِفاراً ... بعدَ عِزٍّ وثَرْوَةٍ ونَعيمِ

وكذاكَ الزَّمانُ يَذْهَبُ بالنّا ... سِ وتبقى دِيارُهم كالرُّسومِ

قال : فمن يقول منكم

رأَيتُ النّاسَ مُنْذُ خُلِقوا وكانوا ... يُحِبُّونَ الغِنيَّ مِنَ الرِّجالِ

وإِنْ كانَ الغَنيُّ أَقَلَّ خيراً ... بَخيلاً بالقليلِ مِنَ النَّوالِ

فلا أدري علامَ وفيمَ هذا ... وماذا يرتجون من المحالِ
أللدنيا فليسَ هناكَ دنيا ... ولا يُرجى لحادثةِ الليالي

قال : أنا وقد كتمتها ،، قال ولما دخل عليّ صلوات الله عليه المدائن فنظر الى إيوان كسرى أنشد بعض من حضره ،، قول الأسود بن يعفر

ماذا أأمّلُ بعدَ آلِ محرّقٍ ... تركوا منازلَهم وبعدَ إيادِ
أهلِ الخورنقِ والسّديرِ وبارقٍ ... والقصرِ ذي الشُّرُفاتِ من سِنْداد
نزلوا بأنقرةٍ يَسيلُ عليهمُ ... ماءُ الفُرَاتِ يجيءُ من أطوادِ
أرضٌ تخيَّرَها لطيبِ نسيمِها ... كعبُ بنُ مامةَ وابنُ أمِّ دُوادِ
جرَتِ الرّياحُ على محلِّ ديارِهم ... فكأنّما كانوا على ميعادِ
فإذا النّعيمُ وكلُّ ما يُلْهى بهِ ... يوماً يصيرُ إلى بِلًى ونفادِ

وقال عليّ صلوات الله عليه : أبلغ من ذلك قول الله تعالى ﴿كم تركوا من جنّاتٍ وعُيونٍ وزُروعٍ ومَقامٍ كريمٍ ونِعمةٍ كانوا فيها فاكهينَ كذلكَ وأورثْناها قوماً آخرينَ فما بكَتْ عليهمُ السّماءُ والأرضُ وما كانوا مُنظَرِينَ﴾ ،، وقال عبدالله بن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ،، وقال غيره طلاق الدنيا مهر الجنة ،، وذكروا ان اعرابيا ذكر الدنيا فقال هي جمة المصائب رنقة المشارب ،، وقال آخر الدنيا لا تمتلك بصاحب ،، قال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى إلّا فيها ولا يُنال ما عنده إلّا بتركها ،، وقال : اذا أقبلت الدنيا على امرئ اعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه ،. وقال الشاعر

أيا دُنيا حسَرْتِ لنا قِناعاً ... وكانَ جمالُ وجهكِ في النّقابِ
ديارٌ طالما حُجبتْ وعزّتْ ... فأصبحَ اذنُها سهلَ الحجابِ

وقد كانت لنا الأيّامُ ذلّتْ فقد قرنت بأيّام صعاب
كأنّ العيشَ فيها كانَ ظلاًّ يقلّبُهُ الزّمانُ إلى ذهاب

قال الأصمعي : وُجد فى دار سليمان بن داود عليه السلام على قُبّة مكتوباً

ومَنْ يحمدِ الدُّنيا لشيءٍ يسرُّهُ فسوفَ لعمرى عن قريبٍ يلومُها
إذا أدبرتْ كانتْ على المرءِ حسرةً وإن أقبلتْ كانتْ كثيراً همومُها

وكان ابراهيم بن أدهم ينشد

نُرقّعُ دُنيانا بتمزيقِ دِيننا فلا دِيننا يبقى ولا ما نُرقّعُ

وقال أبو العتاهية

يا مَنْ ترفّعَ بالدُّنيا وزينتِها ليسَ الترفُّعُ رفعَ الطّينِ بالطّينِ
إذا أردتَ شريفَ القومِ كلّهمِ فانظرْ إلى ملكٍ فى زيّ مسكينِ
ذاكَ الذى عظُمتْ فى النّاسِ همّتُهُ وذاكَ يصلُحُ للدنيا وللدّينِ

وقال آخر

هبِ الدُّنيا تُساقُ إليكَ عفواً أليسَ مصيرُ ذاكَ إلى زوالِ

وقال محمود الوراق

هى الدُّنيا فلا يغرُرْكِ منها مخائلُ تستفزُّ ذوى العقولِ
أقلُّ قليلها يكفيكَ منها ولكنْ لستَ تقنعُ بالقليلِ
تُشيدُ وتبتنى فى كلّ يومٍ وأنتَ على التّجهزِ للرّحيلِ
ومنْ هذا على الأيّامِ تبقى مضاربُهُ بمدرجةِ السّيولِ

وقال آخر

دُنيا تداولَها العبادُ ذميمةً شيبتْ بأكرهِ منْ نقيعِ الحنظلِ

وثباتُ دُنيا ما تزالُ مُلِمَّةٌ منها فجعائعُ مثلِ وقعِ الجَنْدَلِ

وقال آخر

حتّى متى أنت فى دُنياكَ مُشتغِلٌ وعاملُ اللهِ بالرّحمنِ مشغولُ

وقال ابو نواس الحسن بن هانئ

دَعِ الحرصَ على الدُّنيا وفى العيشِ فلا تطمعْ
ولا تجمعْ لكَ المالَ فما تدرى لمنْ تجمعْ
ولا تدرى أفي أرْضـ ـكَ أمْ فى غيرِها تُصرَعْ

قال الأصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول بينا أنا أدور في بعض البراري اذا أنا بصوت

وإنِ امرأً دُنياهُ أكثرُ همِّهِ لَمستَمسِكٌ منها بحبلِ غُرورِ

فقلت : عانسي أم جنّيّ فلم يجبني أحد فنقشته على خاتمي ،، قال وسمع يحيى بن خالد بيت العدوي فى صفة الدنيا

حتُوفُها رَصَدٌ وعيشُها نَكَدٌ وشُربُها رَنَقٌ وملْكُها دُوَلُ

فقال : لقد نظم فى هذا البيت صفة الدنيا ،، قال وسمع المأمون بيت أبي نواس

إذا امتحنَ الدُّنيا لَبيبٌ تكشَّفتْ له عنْ عدوٍّ فى ثيابِ صَديقِ

فقال : لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفة نفسها كصفة أبي نواس ،، وقيل للحسن البصرى : ما تقول فى الدنيا ، قال : ما أقول فى دار حلالها حساب وحرامها عقاب فقيل : ما سمعنا كلاما أوجز من هذا قال بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عديّ ابن أرطاة وهو على حمص ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى صلاح حيطانها فيكتب اليه حصّنها بالعدل ونقّ طرقها من الظلم والسلام

محاسن الزهد

محمد بن الحسن عن أبي همام وكان قد عرف ضيغما قال : كنت معه في طريق مكة فلما بعدنا في الرمل نظر الي ما تلقى الابل من شدة الحر فبكى ضيغم فقلت : لو دعوت الله أن يمطر علينا كان أخف على هذه الابل قال فنظر الى السماء وقال : إن شاء الله فعل قال فوالله ما كان إلّا أن تكلم حتى نشأت سحابة فهطلت ،، وعن عطاء بن يسار ان أبا مسلم الخولاني خرج الي السوق بدرهم يشترى لأهله دقيقاً فعرض له سائل فأعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فأعطاه الباقى فأتى النجارين فملأ مِزْوَدَه من نشارة الخشب وأتي منزله فألقاه وخرج هارباً من أهله فاتخذت المرأة المزود فاذا دقيق حُوّاري لم تر مثله فعجنته وخبزته فلما جاء قال من أين لك هذا قالت الدقيق الذى جئت به ،، وعن أبي عبد الله القرشى عن صديق له قال : دخلت بئر زمزم فاذا بشخص ينزع الدلو مما يلى الركن فلما شرب أرسل الدلو فأخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لوز لم أر أطيب منه فلما كانت القابلة في ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فأخذته فشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالعسل لم أر شيئاً قط أطيب منه فأردت أن آخذ طرف ثوبه فانظر من هو ففاتنى فلما كان في الليلة الثالثة قعدت قبالة زمزم في ذلك الوقت فجاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فضلته فاذا هو أطيب من الأول فقلت يا هذا أسألك برب هذه البنية من أنت ، قال : تكتم علىّ حتى أموت ، قلت : نعم ، قال لي: أنا سفيان الثوري وكانت تلك الشربة تكفيني اذا شربتها الي مثلها لا أجد جوعا ولا عطشا ،، وقال الاصمعي : رأيت اعرابياً يكدح جبهته بالأرض يريد أن يجعل سجادة فقلت ما تصنع قال اني وجدت الاثر في وجه الرجل الصالح ،، وقال الشاعر

كيفَ يبكي لمحبسٍ في طُلولٍ ... مَنْ سيقضي ليومِ حبسٍ طويلِ

إنَّ في البعثِ والحسابِ لشُغلاً ... عنْ وُقوفٍ برسمِ رَبْعٍ مُحيلِ

وقال آخر

إنَّ الشَّقيَّ الذي في النَّارِ مَنْزِلُه ... والفوْزُ فوْزُ الذي يَنجو منَ النّارِ
يارَبِّ أسرَفتُ في ذَنْبي ومَعْصيتي ... وقدْ عَلِمْتُ يقيناً سوْءَ آثاري
فاغفِرْ ذُنوباً إلهي قدْ أحَطْتَ بها ... رَبَّ العِبادِ وزَحزِحْني عنِ النّارِ

وقال ذو الرمة

تَعْصي الإلهَ وأنتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هـذا مُحالٌ في القياسِ بديعُ
لوْ كانَ حبُّكَ صادقاً لأَطَعْتَهُ ... إنَّ المُحِبَّ لمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ

وقال أبو نواس

أَيا عَجَباً كيفَ يُعصَى الإلـ ... ـهُ أَمْ كيفَ يَجْحَدُه الجاحِدُ
وللهِ في كلِّ تَحْريكةٍ ... وتَسكينةٍ فاعلَمَنْ شاهِدُ
وفي كلِّ شيْءٍ لهُ آيةٌ ... تَدُلُّ على أَنَّهُ واحِدُ

وقال أيضا

سُبحانَ مَنْ خَلَقَ الخَلـ ... ـقَ مِنْ ضَعيفٍ مَهينِ
يَسوقُهمْ مِنْ قَرارٍ ... إلى قَرارٍ مَكينِ
يَحُوزُ خَلْقاً فخَلْقاً ... في الحَجْبِ دُونَ العُيونِ
حتَّى بَدَتْ حَرَكاتٌ ... مَخلوقةٌ مِنْ سُكونِ

وقال آخر

أَخي ما بالُ قلبكَ ليسَ يَنْقى ... كأَنَّكَ ما تَظُنُّ الموتَ حقّا
أَلا يا ابنَ الذينَ مضَوْا وبادُوا ... أَما واللهِ ما ذَهبوا لِتبقى

وما لكَ غيرَ تقوَى اللهِ زادٌ ... إذا جعلَتْ إلى اللَّهواتِ تَرْقَى

وقال آخر

يا قلبُ مَهْلاً وكنْ على حَذَرٍ ... فقدْ لعَمْرِى أُمِرْتَ بالحَذَرِ
ما لكَ بالتُّرَّهاتِ مُشتغِلاً ... أفي يدَيكَ الأَمانُ من سَقَرِ

وقال آخر

إنْ كنتَ تؤْمِنُ بالقيا ... مةِ واجْتَرَأْتَ على الخطيَّه
فلقدْ هلَكْتَ وإنْ جَحَدْ ... تَ فذاكَ أَعْظَمُ للبَلِيَّه

وقال آخر

وأَفْنِيَةُ المُلوكِ مُحَجَّباتٌ ... وبابُ اللهِ مبْذُولُ الفِناءِ
فما أَرجو سواهُ لكشفِ ضُرّى ... ولا أَفزَعْ إلى غيرِ الدُّعاءِ
ولا أدعو إلى اللَّأْواءِ كَهْفاً ... سِوى مَنْ لا يَصُمُّ عَنِ الدُّعاءِ

﴿ ضِدّه ﴾

قيل ،، كان جندي بقزوين يصلى فى بعض المساجد فافتقده المؤذن أياماً فصار اليه وقرع بابه عليه فخرج اليه فقال له المؤذن : أبو من ، قال : أبو الجحيم ، قال : بئس يا هذا رد الباب ،، قال وقيل للقينى ما أيسر ذنبك ، قال : ليلة الدير ، قيل له : وما ليلة الدير ، قال : نزلت بدير نصرانية فأكلت عندها طفشيلا بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرقت كساءها وخرجت[1] ،، قيل اتى خمسة من الفتيان الى قرية فنزلوا على

(١) — ذكر ابن قتيبة فى كتابه أخبار الشعراء هذه القصة لأبي الطمحان القيني ٠٠ وقد نسبت هذه الحزية أيضاً للفرزدق وفيها يقول له جرير

وكنت اذا نزلت بدار قوم ... رحلت بخزية وتركت عاراً

باب خان فقام أحدهم يصلى والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا دُلّينا على قحبة قالت نعم كم أنتم ، قالوا نحن أربعة ، فأومى الذى يصلى بيده سبحان الله أنا الخامس ..

وقال الشاعر

وإنّني في الصَّلاةِ أَحْضُرُها ... ضَحِكَةُ أَهلِ الصَّلاةِ إنْ شَهِدُوا
أَقعُدُ في سَجْدَةٍ إذا رَكَعوا ... وأَرْفَعُ الرَّأْسَ إنْهُمُ سَجَدوا
أَسجُدُ والقَوْمُ راكِعونَ مَعاً ... وأُسْرِعُ الوَثْبَ إنْ هُمُ قَعَدوا
فلَسْتُ أَدري إذا هُمُ فَرَغوا ... كَمْ كانَ تِلكَ الصَّلاةُ والعَدَدُ

وقال آخر

وأُصَلّي فأُغالِطُ الدَّهرَ فيما ... بينَ سَبْعٍ وأَرْبَعٍ وثَمانِ
ومَواقيتُ حينِها السْتُ أَدري ... ما أَذانٌ مُوَقَّتٌ مِنْ أَذانِ

وقال آخر

نِعْمَ الفَتى لَوْ كانَ يَعرِفُ رَبَّهُ ... ويُقيمُ وَقْتَ صَلاتِهِ حَمّادُ
عَدَلَتْ مَشافِرَهُ الدِّنانُ فأَنفُهُ ... مِثلُ القَدُومِ يَسُنُّهُ الحَدّادُ
فابْيَضَّ مِنْ شُرْبِ المُدامةِ وَجْهُهُ ... فبَياضُهُ يَوْمَ الحِسابِ سَوادُ

وقال آخر

إنْ قَرَأَ العادِياتِ في رَجَبٍ ... لَمْ يَعْدُ مِنها إلاّ إلى رَجَبِ
بَلْ نَحنُ لا نَستَطيعُ في سَنَةٍ ... نَختِمُ تَبَّتْ يَدا أَبي لَهَبِ

محاسن النساء النادبات

قيل ،، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول الخنساء فى صخر أخيها

لا بُدَّ مِنْ ميتةٍ فى صَرْفِها غِيَرٌ ... والدَّهْرُ مِنْ شأْنِهِ حَوْلٌ وإضْرارُ

وإنَّ صَخْراً لَتَاتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ ... كأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رأْسِهِ نارُ

وقيل للخنساء صفي لنا صخراً فقالت كان مطرَ السنة الغبراء وذُعاف الكتيبة الحمراء قيل فمعاوية قالت حياء الجدبة اذا نزل وقرى الضيف إذا حل قيل فأيهما كان عليك أحنى قالت أما صخر فسقام الجسد وأما معاوية فحمرة الكبد ،، وأنشدت

أَسَدَانِ مُحْمَرَّا المَخَالِبِ نَجْدَةً ... غَيْثَانِ فِي الزَّمَنِ الغَضُوبِ الأَعْسَرِ

قَمَرَانِ فِى النَّادِى رَفِيعا مَحْتِدٍ ... فِى المَجْدِ فَرْعَا سَوْدَدٍ مُتَخَيِّرِ

وروى انها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدار من شعر فقالت لها عائشة أتتخذين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : يا أم المؤمنين ان زوجي كان رجلا متلافاً منفقاً فقال لي : لو أتيت معاوية فاستعنتيه فخرجت وقد لقيني صخر فأخبرته فشاطرني ماله ثلاث مرات فقالت له امرأته : لو أعطيتها من شرارها ـ تعني الابل ـ فقال

تاللهِ لا أَمْنَحُهَا شِرَارَهَا ... وهْيَ حِصَانٌ قد كَفَتنِى عارَهَا

وإنْ هَلَكْتُ مَزَّقَتْ خِمارَهَا ... واتَّخَذَتْ مِنْ شَعَرٍ صِدَارَهَا

فلما هلك صخر اتخذتُ هذا الصدار ونذرت أن لا انزعه حتى أموت ،، قال ثور ابن معن السلمي حدّثني أبي قال : دخلت على الخنساء في الجاهلية وعليها صدار من شعر وهي تجهّز ابنتها فكلمتها في طرح الصدار فقالت : يا حمقاء والله لأنا أحسن منك عرسا وأطيب منك درسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا ،، قال عبد الرحمن بن مرة

عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب قال للخنساء : ما أقرح ما آقي عينيك ، قالت : بكائي على السادات من مضر ، قال : يا خنساء انهم في النار ، قالت : ذلك أطول لعويلي .. ومما اخترنا من أشعارها قولها

تَعَرَّقَنِي الدَّهرُ قَرْعًا وغَمْزا ... وأَوْجَعَنِي الدَّهرُ نَهْشًا ووَخْزا
وأَفْنَى رِجالي فبادوا معًا ... فأَصْبَحَ قلبي لهُمْ مُسْتَفِزَّا
كأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى ... إذ النَّاسُ إذْ ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا
وكانوا سَرَاةَ بني مالكٍ ... وزَيْنَ العَشِيرَةِ مَجْدًا وعِزَّا
وهم في القديمِ صِحاحُ الأَديـ ... ـمِ والكائنونَ مِنَ النَّاسِ حِرْزا
بسُمرِ الرِّماحِ وبِيضِ الصِّفاحِ ... فبالبِيضِ ضَرْبًا وبالسُّمرِ وَخْزا
حَزَزْنا نَواصِيَ فُرْسانِكُمْ ... وكانوا يَظُنُّونَ أَنْ لا تُحَزَّا
ومَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُلاقِي الحروبَ ... بأَنْ لا يُصابَ فقد ظَنَّ عَجْزا
نَعِفُّ ونَعرِفُ حَقَّ القِرَى ... ونَتَّخِذُ الحَمْدَ ذُخْرًا وكَنْزا
ونَلْبَسُ في الحربِ نَسْجَ الحَدِيدِ ... وفي السِّلْمِ نَلْبَسُ خَزًّا وقَزَّا

وروي خبر الخنساء من جهة أخرى ذكروا انها أقبلت حاجّة فمرّت بالمدينة ومعها أناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا : هذه خنساء فلو وعظتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والاسلام فقام عمر وأتاها وقال : يا خنساء ، قال فرفعت رأسها فقالت ما تشاء وما الذي تريد ، فقال : ما الذي أقرح مآقي عينيك ، قالت : البكاء على سادات مضر . قال : انهم هلكوا في الجاهلية وهم أعضاد اللهب وحشو جهنم ، قالت : فداك أبي وأمي فذلك الذي زادني وجعاً ، قال : فأنشديني ما قلت ، قالت : اما اني لا أنشدك ما قلت قبل اليوم ولكني أنشدك ما قلته الساعة ،، فقالت

سقى جدثاً أعراقُ غمرةَ دونَهُ ... وبيشةُ دِيماتُ الربيعِ ووابلُه
وكنتُ أُعيرُ الدمعَ قبلكَ مَنْ بكى ... فأنتَ على مَنْ مات قبلكَ شاغلُه
وأُرعيهمُ سمعي إذا ذكروا الأسى ... وفي الصدرِ مني زفرةٌ لا تُزايلُه

فقال عمر : دعوها فانها لا تزال حزينة أبداً ،، ليلى الأخيلية هجاها رجل من قومها ،، فقال

ألا حيّيا ليلى وقولا لها هلا ... فقد ركبتْ إبراً أغرَّ محجّلا

فأجابته

تُعيّرُني داءً بأُمّكَ مثلُه ... وأيُّ جوادٍ لا يُقالُ له هلا

وذكروا انها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها : يا ليلى هل بقى فى قلبك من حب توبة فتى الفتيان شئ ، قالت : وكيف أنساه وهو الذى يقول يا أمير المؤمنين

ولوْ أنّ ليلى فى ذُرَى متمنّعٍ ... بنجرانَ لالتفّتْ عليَّ قصورُها
حمامةَ بطنِ الوادِيَينِ ترنّمي ... سقاكِ من الغرّ الغوادي مطيرُها
أبيني لنا لازالَ ريشكِ ناعماً[1] ... وبيضُكِ في خضراءَ غُصنٍ نضيرُها
تقولُ رجالٌ لا يضيرُكَ نأيُها ... بلى كلُّ ما شفَّ النفوسَ يضيرُها
أيذهبُ ريعانُ الشبابِ ولم أزُرْ ... كواعبَ في همدانَ يبضّ خُورُها

قال : عمرك الله أن تذكريه ،، ولتوبة فى ليلى الأخيلية

ولوْ أنّ ليلى الأخيليّةَ سلّمتْ ... عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أوزقى ... إليها صدًى من جانبِ القبرِ صائحُ
ولوْ أنّ ليلى في السماءِ لأصعدتْ ... بطرفي إلى ليلى العيونُ اللوامحُ

(١) — رواية أبى على القالى فى أماليه « ولا زلت فى خضراء غض نضيرها »

فلما مات توبة مرّ زوج ليلى بليلى على قبره فقال : لها سلامي على توبة فانه زعم فى شعره انه يسلم عليك تسليم البشاشة ، فقالت ما تريد الى من بليت عظامه ، فقال : والله لتفعلن ، فقالت وهي على البعير : سلام عليك يا توبة فتى الفتيان ، وكانت قطاة مستظلة فى ثقب من ثقب القبر فلما سمعت الصوت طارت وصاحت فنفر البعير ورمى بليلى فماتت فدفنت الى جنب قبر توبة ،، قال وسأل الحجاج ليلى هل كان بينك وبين توبة ريبة قط ، قالت لا والذي أسأله صلاحك الّا انه مرّة قال لي قولاً ظننت انه خضع لبعض الأمر .. فقلت له

وذِي حاجةٍ قلنا لهُ لا تبُحْ بها ... فليسَ إليها ما حَيِيتُ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أنْ نخونَهُ ... وأنتَ لأُخرَى فارِغٌ وخليلُ

فما كلمني بعد ذلك بشيء حتى فرّق بيني وبينه الموت ، قال الحجاج فما كان بعد ذلك ، قالت لم يلبث أن قال لصاحب له اذا أتيت الحاضر من بني عباد فقل بأعلى صوتك

عفا اللهُ عنها هلْ أَبِيتَنَّ ليلةً ... منَ الدّهرِ لا يَسْرِي إليَّ خيالُها

فلما سمعت الصوت خرجت فقلت

وعنهُ عفا ربي وأحسنَ حالَهُ ... تعزُّ علينا حاجةٌ لا ينالُها

قال ودخلت ليلى على الحجاج فأنشدته .. قولها فيه

إذا نَزَلَ الحجّاجُ أرضاً سقيمةً ... تتبَّعَ أقصى دائِها فشفاها
شفاها من الدّاءِ العُضالِ الذي بها ... غُلامٌ إذا هزَّ القناةَ ثناها
أحجّاجُ لا تُعطي العُصاةَ مُناهُمُ ... ولا اللهُ يُعطي للعُصاةِ مُناها

فوصلها الحجاج بألف دينار وقال لو قلت بدل غلام همام لكان أحسن ،، هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان قيل لما قتل شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة رثتهم هند .. فقالت

إني رأيتُ فساداً بعدَ إصلاحِ ... في عبدِ شمسٍ فقلبي غيرُ مُرتاحِ
هاجتْ لهُمْ أدمعٌ تترى ومنبعُها ... مِنْ رأسِ محْرُوبةٍ ما إنْ لها لاحي
لمّا تنادتْ بنو فهرٍ على حنقٍ ... والموتُ بينهُم ساعٍ لأرواحِ
كأنّما النَّسجُ في قتلى مُصرَّعةٍ ... سُرجٌ أضاءتْ على جُدرٍ وألواحِ
يا آلَ هاشمٍ أنّا لا نُصالحُكمْ ... حتّى نرَى الخيلَ تردِي كلَّ كفّاحِ
إنْ يُمكنِ اللهُ يوماً مِنْ هزيمتِكمْ ... يُورِثْ نساءَكمُ داءً بتقراحِ

فاجابتها عمرة بنت عبد الله بن رواحة الانصارى

يا هندُ مهلاً لقدْ لاقيتِ مُهبلةً ... يومَ الأعنّةِ والأرواحُ في الرّاحِ
أُسْدٌ غطارفةٌ غرٌّ جحاجحةٌ ... أبناءُ محْصنةٍ بيضٌ لجحْجاحِ
هُنالكَ الفوزُ والرّضوانُ إنْ صبَرُوا ... معَ الرّسولِ فما آبوا بتقْباحِ
اللهُ أهلكَهُمْ والأوسُ شاهدةٌ ... والخزْرجُ الغرُّ فيهمْ كلُّ مُجْتاحِ
لا تبْعدَنَّ فإني غيرُ صارخةٍ ... وكيفَ تصْرخُ ذاتُ البعلِ يا صاحِ

النساء الماشطات

قال سليمان بن عبد الملك أنشدونى أحسن ما سمعتم من شعر النساء فقال بعضهم يا أمير المؤمنين سار رجل من الظرفاء في بعض طرقاته إذ أخذته السماء فوقف تحت مظلة ليستكن من المطر وجارية مشرفة عليه فلما رأته حذفته بحجر فرفع رأسه وقال

لوْ بتفّاحةٍ رَميتِ رَجونا ... ومِنَ الرّمي بالحَصاةِ جفاءُ

فاجابته

ما جهلنا الذي ذكرت من الشكـــل ولا بالذي نراه خفاء

ودایة معها فقالت

قد بدا أتيه ماذكرت وجدّي ليت شعري فهل لهذا وفاء

وسائلة فى الباب فقالت

قد لعمري دعوتها فأجابت هي داء وأنت منه شفاء

قال سليمان قاتلها الله هي والله أشعرهم

﴿ عنان جارية الناطفيّ ﴾ قال السلولي دخلت يوما على عنان وعندها رجل اعرابي فقالت يا عمّ لقد أتى الله بك ، قلت وما ذاك ، قالت هذا الاعرابي دخل عليّ فقال بلغني انك تقولين الشعر فقولي بيتاً فقلت لها قولي فقالت قد أرتج عليّ فقل أنت فقلت

لقد جدّ الفراق وعيل صبري عشيّة غيرهم للبين زمّت

فقال الاعرابي

نظرت إلي أواخرها ضحيّاً وقد بانت وأرض الشام أمّت

فقالت عنان

كتمت هواكم فى الصدر مني على أنّ الدموع علي نمّت

فقال الاعرابي أنت والله أشعرنا ولولا انك بحرمة رجل لقبلتك ولكنى أقبّل البساط ،، وقال بعضهم دخلت على عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغه وقد تناولها سيدها بضرب شديد وهي تبكي فقلت

إنّ عنانا أرسلت دمعها كالدرّ إذ ينسلّ من سمطه

فقالت وأشارت الي مولاها

فليت من يضربها ظالما تجف يمناه على سوطه

فقال مولاها هي حرّة لوجه الله ان ضربتها ظالماً أو غير ظالم .. قال واجتمع ابو نواس والفضل الرقاشي والحسين الخليع وعمرو الورّاق ومحكم بن رزين والحسين الخياط في منزل عنان فتناشدوا الى وقت العصر فلما أرادوا الانصراف قالوا أين نحن الليلة فكل قال عندي ، فقالت عنان بالله قولوا شعراً وارضوا بحكمي .. فقال الرقاشي

عذراءُ ذاتُ احمرارٍ إني بهـا لا أُحاشي
قوموا نَدَامايَ رَوّوا مُشاشكمْ منْ مُشاشي
وناطحوني كُؤُوساً نِطاحَ صُلْبِ الكباشِ
وإنْ نَكَلْتُ فحِلٌّ لكمْ دَمي ورِياشي

فقال أبو نواس

لا بلْ إليَّ ثِقاتي قوموا بنا بحَياتي
قوموا نَلَذُّ جميعاً بقولِ هالكِ وهاتِ
فإنْ أردْتمْ فتاةً أتيتُكمْ بفتاتي
وإنْ أردْتم غُلاماً صادَفتُموني مُوأتي
فبادِرُوهُ مُجوناً في وَقتِ كلِّ صلاةِ

وقال الحسين الخليع

أنا الخَليعُ فقوموا إلى شَرابِ الخَليعِ
إلى شَرابٍ لَذِيذٍ وأكلِ جَدْيٍ رَضيعِ
وثيكِ أحْوَى رَخيمٍ بالخَندَريسِ صَريعِ
قوموا تَنالوا وَشيكاً مِثالَ مُلكٍ رَفيعِ

وقال الوراق

قوموا إلي بيتِ عَمرٍو إلي سماعٍ وخمرِ
وساقياتٍ علينا تُطاعُ في كلِّ أمرِ
وبيسريٍّ رَخيمٍ يزهو بجيدٍ ونحرِ
فذاكَ برٌّ وإنْ شئـــتمْ أتينا ببحرِ
هذا وليسَ عليكمْ أُولى ولا وقتُ عصرِ

وقال محكم بن رزين

قوموا إلي دارِ لهوٍ وظلِّ بيتٍ دفينِ
فيهِ منَ الوَرْدِ والمرْ زنجوشِ والياسمينِ
وريحِ مسكٍ ذكيٍّ وجيّدِ الزَّرْجونِ
قوموا فصيروا جميعاً إلي الفتى ابنِ رزينِ

فقال الحسين الخياط

قضتْ عنانُ علينا بأنْ نزورَ حسينا
وأنْ تقرُّوا لديهِ بالقصفِ واللهِ عينا
فما رأينا كظرفِ الـــحسينِ فيما رأينا
قدْ قرَّبَ اللهُ منهُ زيناً وباعدَ شينا
قوموا وقولوا أجزنا ما قدْ قضيتِ علينا

وقالت عنان

مهلاً فديتكَ مهلاً عنانُ أحرى وأولي
بأنْ تنالوا لديها أسنى النَّعيمِ وأحلي

فإنّ عندي حَرَاماً مِنَ الشَّرابِ وحلاّ
لاتَطْمَعوا في سوائي مِنَ البَرِيّةِ كلاّ
يا سادَتي خبِّرُوني أجازَ حُكْمِيَ أمْ لا

فقالوا جميعا : قد أجزنا حكمك وأقاموا عندها ،، قال وكتبت عنان الى الفضل ابن الربيع

كُنْ لي هُدِيتَ إلى الخليفةِ سُلَّما بُورِكْتَ يا ابنَ وَزيرِهِ مِنْ سُلَّمِ
حُثَّ الإمامَ على شِرَايَ وقُلْ لهُ رَيْحانةٌ ذُخِرَتْ لأَنْفِكَ فاشْمَمِ

وكانت عنان تتوقّى أبا نواس وتخاف مجونه وسفهه ،، وفيها يقول

عِنانُ يا مَنْ تُشْبِهُ العينا أنتمْ علي الحُبِّ تلومونا
حُسْنُكِ حُسْنٌ لا يُرَى مِثلُه قد تَرَكَ النّاسَ مجانينا

فتهيأت لأبي نواس وتصنعت له الى أن صار اليها فرأى عندها بعض وجوه أهل بغداد فأحب أن يخجلها فقال لها

ما تأمُرِينَ لِصَبٍّ يَكْفِيهِ مِنكِ قُطَيرَه

فقالت إيّايَ تَعْنِي بِهذا عليكَ فاجْلِدْ عُمَيْرَ

فقال إنّي أخافُ وربّي على يَدِي من عُبَيْرَه

فقالت عليكَ أُمُّكَ نَكْحا فإنّها كَنْدَبِيرَه

فأخجلته وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد فاستظرفها وطلبها من الناطفي فحملت اليه فقال لها : يا عنان ، قالت : لبيك يا سيدي ، فقال * ما تأمرين لصب *

قالت قد مضى الجواب في هذا يا أمير المؤمنين ، قال بحياتي كيف قلت . قالت قلت

إيّايَ تَعْنِي بِهذا عليكَ فاجْلِدْ عُمَيْرَه

فضحك الرشيد وطلبها من مولاها فاستام فيها مالاً جزيلا فردها

(عريب جارية المأمون)

وأنتمُ أُناسٌ فيكمُ الغدرُ شيمةٌ ... لكمْ أوجهٌ شتّى وألسنةٌ عشرُ

عجبتُ لقلبي كيفَ يصبو إليكمُ ... على عظمِ ما يلقى وليسَ لهُ صبرُ

(فضل الشاعرة) حدثنا القاسم بن عبد الله الحراني قال كنت عند سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد افتصد فأتته هدايا فضل الشاعرة ألف جدي وألف دجاجة وألف طبق رياحين وطيب وعنبر وغير ذلك فلما وصل ذلك كتب اليها ان هذا يوم لا يتم سروره الا بك وبحضورك وكانت من أحسن الناس ضرباً بالعود وأملحهم صوتاً وأجودهم شعراً فأتته فضرب بينه وبينها حجاب وأحضر قوما ندماءه ووضعت المائدة وجيء بالشراب فلما شربنا أقداحا أخذت عودها فغنت بهذا الشعر والصوت لها والشعر والأبيات هذه

يا مَنْ أطلتُ تفرُّسي ... في وجههِ وتنفُّسي

أفديكَ من متدلّلٍ ... يزهو بقتلِ الأنفسِ

هبني أسأتُ وما أسأ ... تُ بلى أقولُ أنا المسي

أحلفتني أنْ لا أسا ... رقَ نظرةً في مجلسي

فنظرتُ نظرةَ عاشقٍ ... أتبعتُها بتنفُّسي

ونسيتُ أني قد حلفتُ ... فما يُقالُ لمنْ نسي

وضربت أيضاً وغنت

عادَ الحبيبُ إلى الرّضا ... فصفحتُ عمّا قد مضى

من بعدِ ما لصدودِهِ ... شمتَ الحسودُ فعرّضا

تعسَ البغيضُ فلمْ يزلْ ... لصدودِنا متعرّضا

هَبْنِي أَسأْتُ وما أَسأْ ... تُ فإِنْ أَسأْتُ لكَ الرِّضا

قال فما أتى عليّ يوم أسرّ من ذلك اليوم

﴿ صاحبة الفرزدق ﴾ ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له فاذا هو بجارية مع مولاها فقال لأصحابه هل أخجل لكم هذه ، قالوا : نعم ، فقال

إنَّ لي أيراً خبيثاً ... لونُهُ يحكي الكُمَيْتا
لو يرَى في السَّقْفِ صَدْعاً ... لتحوَّلْ عنكبُوتا
أو يرَى في الأَرْضِ شقّاً ... لنزَا حتّى يموتا

فقالت الجارية

زوِّجوا هذا بألفٍ ... وأرَى ذلكَ قُوتا
قبلَ أنْ ينقلبَ الدّا ... ءُ فلا يأتي ويوتي

فخجل الفرزدق وانصرف [1]

﴿ صاحبة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ﴾ قالت

عزَمتُ على قلبي بأنْ أكتمَ الهوَى ... فضجَّ ونادَى إنَّني غيرُ عاقلِ
فإنْ حانَ موتي لمْ أَدَعكَ بغُصَّتي ... وأقررْتُ قبلَ الموتِ أنكَ قاتلي

﴿ جارية البارقي ﴾ ذكروا أنها أنشدت في مجلس عمرو بن مسعدة

يا أحسنَ العالمِ حتَّى متَى ... يرتفعُ الحبُّ وانحطْ
وكيفَ منجاي وبحرُ الهوَى ... مُذْ حفَّ بي ليسَ لهُ شطْ

فأجيبت

يُدرِكُكِ الوصلُ فتنجو بهِ ... أو يقعُ البحرُ فتنحطْ

« ١ » — في هامش الأصل .. قيل أن هذه الردافة جرت بين أبي نواس وعنان جارية الناطفي والأبيات تروى على غير هذا

(المغنية المليحة) قال عليّ بن الجهم : كنت فى مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة فاقبلت جارية كأنها البدر ليلة التمام بلون كأنه الدر فى البياض مع احمرار خدين كشقائق النعمان فسلمت فقال لي محمد يا ابا الحسن هذه الجنة التى كنتم توعدون ، فقالت

وما الوَعدُ يا سؤلي وغايةَ مُنْيَتي ... فإنّ فؤادي من مَقالكَ طائرُ

فقال لها محمد

أَمَا وإلهِ العَرْشِ ما قلتُ سيّئًا ... وما كانَ إلاّ أنّني لكِ شاكِرُ

فقال ابن الجهم

أَمِنْكَ فَدَيتُكَ عن عِتابِ مُحَمَّدٍ ... فهوَ المَصونُ لوِدّهِ المُتحاذِرُ

فأقبلت تحدثنا فاذا عقل كامل وجمال فاضل وحسن قاتل وردف مائل فقلت : لقد أقرّ الله عيناً تراك ، فقالت : أقرّ الله أعينكم وزادكم سروراً وغبطة ثم اندفعت تغني بنغمة لم أسمع أحسن منها

أَرُوحُ بهمٍّ من هَواكَ مُبَرِّحٍ ... أُناجي بهِ قلباً كثيرَ التَّفكُّرِ

عليكَ سلامٌ لا زِيارَةَ بيْننا ... ولا وَصْلَ إلاّ أنْ يشاءَ ابنُ مَعْمَرِ

فما زلنا يومنا ذلك معها فى الفردوس الأعلى وما ذكرتها بعد ذلك الا اشتقت لها وأسفت عليها ،، محمد بن حماد قال : كنا يوما عند اسحاق بن نجيح وعنده جارية يقال لها شادن موصوفة بجودة ضرب العود وشجو صوت وحسن خلق وظرف مجلس وحلاوة وجه وأخذت العود وغنت

ظَبيٌ تكاملَ فى نِهايةِ حُسنهِ ... فزَها ببهْجتهِ وتاهَ بصَدِّهِ

فالشَّمْسُ تَطْلُعُ من فِرندِ جَبينهِ ... والبَدْرُ يَغرَقُ فى شقائقِ خَدِّهِ

مَلَكَ الجَمالَ بأَسْرِهِ فكأَنّما ... حُسْنُ البَرِيّةِ كُلُّها من عِنْدِهِ

يا رَبِّ هَبْ لى وَصلَهُ وبقاءَهُ ... أَبَدًا فلَسْتُ بعائشٍ من بَعْدِهِ

فطارت عقولنا وذهلت البابنا من حسن غنائها وظرفها فقلت : يا سيدتى من هذا الذى تكامل في الحسن والبهاء سواك ، فقالت

فإنْ بُحْتُ نالتنى عيونٌ كثيرةٌ وأَضعفُ عن كتمانهِ حينَ أَكتمُ

الأعرابيات

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال : لما خرج المتوكل الى دمشق كنت عديله فلما صرنا بقنّسرين قطعت بنو سليم على التجار فأنهى ذلك اليه فوجه قائداً من وجوه قوّاده اليهم فحاصرهم فلما قربنا من القوم اذا نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهي تقول

أَميرُ المؤمنينَ سَما إلينا سُمُوَّ البَدرِ مالَ بهِ الغَريفُ
فإنْ نَسلمْ فعفوَ اللهِ نَرْجو وإنْ نُقتَلْ فقاتلُنا شَريفُ

فقال لها المتوكل : أحسنت ، ما جزاؤها يا فتح ، قلت العفو والصلة ، فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها : مرّى الى قومك وقولي لهم لا تردّوا المال على التجار فانى أعوضهم عنه .. الأصمعي قال : خرجت إلى بادية فاذا أنا بخباء فيه امرأة فدنوت فسلمت فاذا هي أحسن الناس وجها وأعدلهم قامة وأفصحهم لساناً فخار فيها بصرى واعترتني خجلة فقالت : ما وقوفك ، فقلت

هلْ عندَكمْ منْ مَخيضِ اليومِ نَشربُهُ أَمْ هلْ سبيلٌ إلى تقبيلِ عينيكِ
فلستُ أَبغى سوَى عينيكِ منزلةً أَمْ هلْ تجودي لنا عَضّاً بخدّيكِ
أَو تأْذنينَ بريقٍ منكِ أَرْشفُهُ أَولمسِ بطنكِ أَو تغميزِ ثَدْيَيكِ
رُدّى الجوابَ على مَنْ زادَهُ كَلَفاً تكْريرُهُ الطّرْفَ في أَجْدَالِ ساقَيكِ

فرفعت رأسها إليّ وقالت : يا شيخ ألا تستحي ارجع الى أهلك وأرغب في مثلك

.. وقال بعضهم رأيت أعرابية بالنباح فقلت لها : أتنشدين ، قالت نعم فى مثلك ورب الكعبة ، قلت : فأنشدينى ، فأنشأت تقول

لا بارَكَ اللهُ فيمَنْ كانَ يُخْبِرُني ... أَنَّ المُحِبَّ إذا ما شاءَ يَنْصَرِفُ
وَجْدُ المُحِبِّ إذا ما بانَ صاحِبُهُ ... وَجْدُ الصَّبِيِّ بثَدْيَيْ أُمِّهِ الكَلِفُ

قال قلت لها : انشديني من قولك فقالت

بنَفْسي مَنْ هَواهُ على التَّنائي ... وطولُ الدَّهرِ مُؤْتَنِفٌ جَديدُ
ومَنْ هُوَ فى الصَّلاةِ حَديثُ نَفْسى ... وعَدْلُ الرُّوحِ عِندي بل يَزِيدُ

فقلت لها ان هذا كلام من قد عشق . فقالت وهل يعرى من ذلك من له سمع وقلب ثم أنشدتنى

أَلا بأَبي واللهِ مَنْ ليسَ نافِعي ... بشَيْءٍ ولا قلبي على الوَجْدِ شاكِرُه
ومَنْ كَبِدي تَهْوى إذا ذُكِرَ اسْمُهُ ... بشَيْءٍ ومَنْ قلبي على النَّأْيِ ذاكِرُه
لهُ خَفَقانٌ يَرْفَعُ الجَيْبَ بالشَّجى ... ويَقْطَعُ أَزْرارَ الجُرُبَّانِ ثائِرُه

قال وكتب عمر بن أبي ربيعة الى امرأة بالمدينة

بَرَزَ البَدْرُ فى جَوارٍ تَهادَى ... مُخْطَفاتِ الخُصُورِ مُعْتَجِرَاتِ
فتَنَفَّسْتُ ثمَّ قلتُ لِبَكْرٍ ... عَجَّلَتْ فى الحَياةِ لى حَيْبَاتِ
هلْ سَبيلٌ إلى الَّتى لا أُبالي ... بَعْدَها أَنْ أَمُوتَ قَبلَ وَفاتِي

فأجابته

قدْ أَتانا الرَّسولُ بالأَبياتِ ... فى كِتابٍ قدْ خُطَّ بالتُّرَّهاتِ
حائرُ الطَّرْفِ إنْ نَظَرْتَ وماطَرْ ... فُكَ عندِي بصادِقِ النَّظَراتِ
غُرَّ غيرِى فقدْ عَرَفْتُ لغيرِى ... عَهْدَكَ الخائنَ القليلَ الثَّباتِ